المتشابه اللفظي في سورة آل عمران وأسراره البلاغية

" عرض ودراسة ومقارنة"

إعداد

الدكتور/عبد التواب حسن محمد

الأستاذ المساعد بكلية أصول الدين بالقاهرة

والأستاذ المشارك بكلية الشريعة وأصول الدين بجامعة نجران

بسم الله الرحمن الرحيم

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستهديه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فهو المهتد، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا ونبينا وحبيبنا محمداً عبده ورسوله، اللهم صل وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد:

فإن الله تعالى أنزل القرآن الكريم على نبيه محمد ﷺ ليكون دليلا على دعوته، ومعجزة له على نبوته، وقد اشتمل القرآن الكريم على أوجه متعددة من الإعجاز، ومن هذه الأوجه: الإعجاز البلاغي، ومن صور هذا الإعجاز: التشابه اللفظي بين بعض الآيات القرآنية، سواء في بعض الكلمات، أو الحروف، ومعرفة توجيه هذا التشابه يوضح للقارئ بلاغة القرآن وفصاحته، ويدل على صدق النبي ﷺ في رسالته، وأن هذا القرآن من عند الله تعالى، كما أن في معرفة توجيه المتشابه رداً على المشككين في القرآن والطاعنين فيه بادعاء التكرار، وادعاء الزيادة فيه.

ولما كان هذا الموضوع من الأهمية بمكان أردت أن أقف في هذه الدراسة مع سورة من سور القرآن الكريم وهي سورة آل عمران أبين من خلالها توجيه المتشابه اللفظي فيها مع غيرها من سور القرآن الكريم ووجوه التعبير في كل موضع، مع بيان اللطائف البلاغية في الآيات القرآنية، مبيناً أقوال العلماء الذين كتبوا في المتشابه اللفظي وتوجيهه، مع المقارنة بينهم وبين المفسرين، وبيان أثر هذه الدراسات في كتب التفسير، وقد سميت هذا الموضوع **" المتشابه اللفظي في سورة آل عمران وأسراره البلاغية" عرض ودراسة ومقارنة**، وقد قسمته إلى مقدمة، وقسمين، وخاتمة.

أما المقدمة: فقد اشتملت على اسم الموضوع وأهميته ومنهج الكتابة فيه.

وأما القسم الأول: فقد اشتمل على تعريف المتشابه اللفظي، وأهميته، وأنواعه، وأهم المؤلفات فيه، وطرق التأليف فيه.

وأما القسم الثاني وهو قسم الدراسة التحليلية لسورة آل عمران فقد اشتمل على المباحث التالية:

المبحث الأول: الاختلاف بين الآيات المتشابهة باعتبار التقديم والتأخير.

المبحث الثاني: الاختلاف بين الآيات المتشابهة بالإبدال، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: إبدال حرف بآخر.

المطلب الثاني: إبدال كلمة بأخرى.
المبحث الثالث: الاختلاف بين الآيات المتشابهة باعتبار الإفراد والجمع.
المبحث الرابع: الاختلاف بين الآيات المتشابهة باعتبار التذكير والتأنيث، وفيه مطلبان:
المطلب الأول: التذكير والتأنيث في الضمائر.
المطلب الثاني: التذكير والتأنيث في الأفعال.
المبحث الخامس: الاختلاف بين الآيات المتشابهة باعتبار التعريف والتنكير.
المبحث السادس: الاختلاف بين الآيات المتشابهة باعتبار الفصل والوصل.
المبحث السابع: الاختلاف بين الآيات المتشابهة باعتبار الإثبات والحذف. وفيه ثلاثة مطالب:
المطلب الأول: إثبات حرف وحذفه.
المطلب الثاني: إثبات كلمة وحذفها.
المطلب الثالث: إثبات أكثر من كلمة وحذفها.
المبحث الثامن: الاختلاف بين الآيات بالتوكيد وعدمه.
المبحث التاسع: الاختلاف بين الآيات باعتبار الصيغة.
وأما الخاتمة: فتشتمل على أهم النتائج والفهارس.

الدراسات السابقة:

من خلال البحث تبين لي أنه توجد في هذا الموضوع دراسات سابقة لها علاقة بهذا الموضوع وهي كالآتي:

١ـ المتشابه اللفظي في القرآن الكريم وأسراره البلاغية للدكتور/ صالح بن عبد الله بن محمد الشثري، وهي رسالة مقدّمة لفرع البلاغة والنقد في كلّية اللغة العربية بجامعة أم القرى بمكة ـــ وقد نوقشت عام١٤٢١هـ.

٢ـــ كتاب بعنوان: من بلاغة المتشابه اللفظي في القرآن الكريم، تأليف: د/ محمد بن علي الصامل، صدرت طبعته الأولى عن دار إشبيليا عام١٤٢٢هـ.

٣ـــ كتاب بعنوان: إعانة الحفّاظ للآيات المتشابهة الألفاظ، تأليف/ محمد طلحة بلال منيار، وقد صدرت طبعته الأولى عن دار نور المكتبات عام١٤٢٤هـ.

٤ـ المتشابه اللفظي في القرآن الكريم وتوجيهه دراسة موضوعية، إعداد الطالب/ محمد بن راشد البركة، وهي رسالة ماجستير مقدمة لكلية أصول الدين جامعة الإمام محمد بن سعود عام ١٤٢٦ه.

٥ــ أثر دلالة السياق القرآني في توجيه معنى المتشابه اللفظي في القصص القرآني دراسة نظرية تطبيقية على آيات قصص نوح وهود وصالح وشعيب عليهم السلام، إعداد الطالبة/ تهاني بنت سالم أحمد باحويرث، وهي رسالة ماجستير مقدمة لكلية أصول الدين والدعوة جامعة أم القرى١٤٢٨ه.

وهذه المؤلفات والرسائل تناولت موضوع المتشابه إما بتأصيل لقواعده، أو بذكر أمثلة منه من خلال القرآن الكريم، أو التعرض لموضوع معين منه كالمتشابه اللفظي في القصص القرآني، أما الدراسة التي نحن بصددها فهي عبارة عن دراسة تحليلية للمتشابه في سورة آل عمران مع غيره من سور القرآن الكريم مع توجيهه، والمقارنة بين صنيع المفسرين وصنيع الكاتبين في علم المتشابه اللفظي، وبيان تأثر بعضهم ببعض.

وقد اتبعت في كتابة هذا الموضوع الآتي:

١ــ عزو الآيات القرآنية إلى سورها مع ذكر اسم السورة ورقم الآية.

٢ــ تخريج الأحاديث النبوية من مصادرها الأصلية مع الحكم عليها ما أمكن.

٣ــ المقارنة بين الكاتبين في علم المتشابه، وبين ما ذكره المفسرون في تفاسيرهم حول الآيات المتشابهة وبيان تأثر بعضهم ببعض.

٤ــ اتبعت في إيراد الآيات المتشابهة في السورة الترتيب المصحفي في كل مبحث.

٥ــ قد أذكر بعض اللطائف المتعلقة بالآية محل البحث إذا كانت لها اتصال بموضوع المتشابه.

٦ــ قد أورد بعض أوجه التشابه بين الآيات من السورة الكريمة وبين غيرها من سور القرآن مما ليس له علاقة بالمبحث محل الدراسة وإن كان يتعلق بمبحث آخر؛ وذلك لشدة الارتباط بينهما وتجنبا للتكرار وذلك في حدود نادرة.

هذا وأسأل الله تعالى التوفيق والسداد، وأن ينفعنا بما علمنا، وأن يعلمنا ما ينفعنا، وأن يجنبنا الزلل في القول والعمل، وصلى الله وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

القسم الأول
تعريف المتشابه اللفظي، وأهميته، وأنواعه، وأهم المؤلفات فيه، وطرق التأليف فيه.

تعريف المتشابه اللفظي: المتشابه لغة: مادة شبه تدور في القرآن حول معنيين:

الأول: التماثل.

والثاني: الالتباس والإشكال، ومقصدنا هنا المعنى الأول، وهو التماثل، فالشبه: المثل، يقال: فلان شبه فلان، أي: مثله. قال ابن منظور: شبه: الشِّبْهُ والشَّبَهُ والشَّبِيهُ: المِثْلُ، وَالْجَمْعُ أَشْبَاهٌ، وأَشْبَه الشيءُ الشيءَ: مَاثَلَهُ، وَفِي الْمَثَلِ: مَنْ أَشْبَه أَباه فَمَا ظَلَم. (١)

المتشابه اللفظي اصطلاحا: عرفه الزركشي بأنه: إِيرَادُ الْقِصَّةِ الْوَاحِدَةِ فِي صُوَرٍ شَتَّى وَفَوَاصِلَ مُخْتَلِفَةٍ، وَيَكْثُرُ فِي إِيرَادِ الْقَصَصِ وَالْأَنْبَاءِ. (٢)

وعرفه السيوطي بأنه: إِيرَادُ الْقِصَّةِ الْوَاحِدَةِ فِي صُوَرٍ شَتَّى وَفَوَاصِلَ مُخْتَلِفَةٍ. (٣)

وعرفه الكفوي: بأنه إِيرَاد الْقِصَّة الْوَاحِدَة فِي سور شَتَّى وفواصل مُخْتَلفَة فِي التَّقْدِيم وَالتَّأْخِير، وَالزِّيَادَة وَالنَّرْك، والتعريف والتنكير، وَالْجمع والإفراد، والإدغام والفك، وتبديل حرف بحرف آخر. (٤)

ونلاحظ أن تعريف السيوطي هو تعريف الزركشي، والمراد بالقصة ليست القصة بمعناها المعروف المشتملة على الأحداث كقصص الأنبياء وإنما المقصود السياق القرآني، فليس التشابه اللفظي قاصرا على القصص المعروف في القرآن بل يرد فيها وفي غيرها، كما أن تعريف الكفوي للمتشابه اشتمل على ذكر أنواع التشابه.

---

(١) لسان العرب لابن منظور (٥٠٣/١٣) الناشر: دار صادر ــ بيروت، الطبعة: الثالثة ١٤١٤هـ.

(٢) البرهان في علوم القرآن للزركشي (١١٢/١) تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الطبعة: الأولى ١٣٧٦هـ ــ ١٩٥٧م، الناشر: دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركاؤه.

(٣) الإتقان في علوم القرآن للسيوطي (٣٩٠/٣) تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، الطبعة ١٣٩٤هـ ــ ١٩٧٤م.

(٤) الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية(٨٤٥/١) أيوب بن موسى الحسيني القريمي الكفوي، أبو البقاء الحنفي (المتوفى١٠٩٤هـ)، تحقيق: عدنان درويش ــ محمد المصري، الناشر: مؤسسة الرسالة ــ بيروت.

أهمية معرفة المتشابه اللفظي:

وترجع أهمية دراسة المتشابه اللفظي إلى ما يأتي:

١ــ إن دراسة موضوع المتشابه اللفظي يبين وجهاً من وجوه إعجاز القرآن الكريم وهو الإعجاز البلاغي" البياني" حيث تتشابه الآيتان مع وجود اختلاف بينهما، والكشف عن سبب هذا الاختلاف يبين بلاغة القرآن الكريم في اختيار كل لفظ في موضعه، والتعبير عن المعنى الواحد بصور مختلفة مع فصاحته، وإعجازهم عن الإتيان بأي وجه من وجوهه، قال الزركشي في بيان حكمة المتشابه اللفظي:" وَحِكْمَتُهُ التَّصَرُّفُ فِي الْكَلَامِ، وَإِتْيَانُهُ عَلَى ضُرُوبٍ لِيُعْلِمَهُمْ عَجْزَهُمْ عَنْ جَمِيعِ طُرُقِ ذَلِكَ"(١).

٢ــ إن دراسة المتشابه اللفظي في القرآن الكريم فيها تيسير على حفاظ القرآن الكريم في ضبط المتشابهات وخاصة إذا كان ذلك مصحوبا بتوجيه المتشابه وبيان أسراره البلاغية.

٣ــ إن في دراسة المتشابه اللفظي في القرآن الكريم رداً على المشككين والملحدين الذين يطعنون في القرآن الكريم بادعاء التكرار فيه وأنه عديم الفائدة، وخاصة في موضوع القصص القرآني؛ ففي بيان وجه التشابه وأسراره البلاغية توضيح الفائدة في إيراده في كل موضع، وردٌ على هؤلاء المشككين.

٤ــ تُعِينُ دراسة المتشابه اللفظي في القرآن الكريم على تدبر القرآن وإدراك أسرار إعجازه.

اهتمام العلماء بالمتشابه اللفظي:

اهتم العلماء بالمتشابه اللفظي فأفرده جماعة بالتأليف، وعقد له الزركشي فصلا سماه: علم المتشابه، وكذلك السيوطي ذكر له نوعا تحت عنوان: " في الآيات المشبهات"، ومنهم من نظمه في نظم: كهداية المرتاب وغاية الحفاظ والطلاب في تبيين متشابه الكتاب لعلي بن محمد بن عبد الصمد الهمداني المصري الشافعي، أبو الحسن، علم الدين السخاوي (المتوفى ٦٤٣هـ) وهؤلاء اكتفوا بمجرد ذكر المتشابه دون توجيهه في الغالب.

ومن العلماء من اهتم بتوجيهه كما سيأتي ذلك في المؤلفات في المتشابه اللفظي.

(١) البرهان في علوم القرآن (١١٢/١).

المؤلفات في المتشابه اللفظي:

عند النظر في مَن ألف في المتشابهات اللفظية في القرآن نجد أنهم ساروا في اتجاهين:

الأول: اعتنى أصحابه بجمع المتشابهات في القرآن دون توجيه أو تعليل، وهؤلاء عملهم أشبه بمعجم ييسر على حفاظ القرآن الكريم ضبط المتشابهات، ويساعدهم على الحفظ وعدم النسيان، ومن هذه المؤلفات ما يأتي:

متشابه القرآن للكسائي.

ومتشابه القرآن العظيم لابن المنادي.

والتوضيح والبيان في تكرار وتشابه آي القرآن للشيخ عبد الغفور بن عبد الكريم البنجابي.

والإيقاظ لتذكير الحفاظ بالآيات المتشابهة الألفاظ لجمال بن عبد الرحمن إسماعيل.

والمعجم المفهرس للتراكيب المتشابهة لفظاً في القرآن الكريم وضعه: الأستاذ الدكتور: محمد زكي محمد خضر، وغيرها. (١)

والثاني: اعتنى أصحابه بتوجيه المتشابهات، واهتم ببيان أوجه الاختلاف بين الآيات، ومن هذه المؤلفات ما يأتي:

١ـ درة التنزيل وغرة التأويل للخطيب الإسكافي المتوفى(٤٢٠ه)(٢).

٢ـ البرهان في توجيه متشابه القرآن لما فيه من الحجة والبيان لمحمود بن حمزة الكرماني المتوفى(٥٠٥ه)(٣).

---

(١) المتشابه اللفظي في القرآن الكريم وتوجيهه دراسة موضوعية (٨٥، ٨٦) إعداد الطالب/ محمد بن راشد البركة، وهي رسالة ماجستير مقدمة لكلية أصول الدين جامعة الإمام محمد بن سعود عام ١٤٢٦ه.

(٢) هو مُحَمَّد بن عبد الله الْخَطِيب الإسكافي أَبُو عبد الله الأديب اللُّغَوِيّ، قَالَ ياقوت: صَاحب التصانيف الْحَسَنَة، أحد أَصْحَاب ابْن عباد، وَكَانَ من أهل أَصْبَهَان وخطيباً بالريِّ.

قَالَ ابْن عباد: وفاز بالْعلم من أهل أَصْبَهَان ثَلَاثَة: حائك، وحلاج، وإسكاف، فالحائك أَبُو عَليّ المرزوقي، والحلاج أَبُو مَنْصُور ماشدة، والإسكاف أَبُو عبد الله الْخَطِيب، وصنف: غلط كتاب الْعين، والْغرَّة، تَتَضَمَّن شَيْئا من غلط أهل الْأَدَب، ومبادئ اللُّغَة، وشَوَاهِد سِيبَوَيْهِ، ونقد الشّعْر، ودرة التَّنْزِيل وغرة التَّأْوِيل فِي الْآيَات المتشابهة، ولطف التَّدْبِير فِي سياسات الْمُلُوك، وتوفي سنة ٤٢٠ه. بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة للسيوطي (١٤٩/١، ١٥٠)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الناشر: المكتبة العصرية ـــ لبنان ـــ صيدا. الدر الثمين في أسماء المصنفين (٢٢٥/١، ٢٢٦) لعلي بن أنجب بن عثمان بن عبد الله أبو طالب، تاج الدين ابن السّاعي (المتوفى ٦٧٤هـ)، تحقيق وتعليق: أحمد شوقي بنبين ـــ محمد سعيد حنشي، الناشر: دار الغرب الاسلامي، تونس، الطبعة: الأولى١٤٣٠هـ ـــ ٢٠٠٩م.

(٣) هو محمود بن حمزة بن نصر الكرماني، برهان الدين، أبو القاسم، ويعرف بتاج القراء عالم بالقراءات، مفسر، فقيه، نحوي، صرفي من أهل كرمان، قال ياقوت الحموي: أحد العلماء الفقهاء =

٣ـ ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه المتشابه اللفظ من آي التنزيل لأحمد بن إبراهيم ابن الزبير الثقفي الغرناطي، أبو جعفر المتوفى(٧٠٨هـ)([1]).

٤ـ كشف المعاني في المتشابه من المثاني لأبي عبد الله، محمد بن إبراهيم بن سعد الله بن جماعة الكناني الحموي الشافعي، بدر الدين المتوفى(٧٣٣هـ)([2]).

=

النبلاء، صاحب التصانيف والفضل، كان عجبا في دقة الفهم وحسن الاستنباط، لم يفارق وطنه ولا رحل. "، ولم تحدد كتب التراجم تاريخ ولادته.

من مؤلفاته: البرهان في توجيه متشابه القرآن لما فيه من الحجة والبيان، ويسمى أسرار التكرار في القرآن، وكتاب لباب التفاسير، ومنها في القراءات: خط المصاحف، وكتاب الهداية في شرح غاية ابن مهران، ومنها في النحو: مختصر الإيضاح للفارسي وسماه الإيجاز، ومختصر اللمع لابن جني وسماه النظامي، والإفادة، والعنوان، ومصنف في موانع الصرف، ولم تحدد كتب التراجم تاريخ وفاته على التعيين إلا أنها تكاد تجمع أنه كان حيا في حدود الخمسمائة الهجرية، وقد ذكر خير الدين الزركلي أنه توفي سنة ٥٠٥ه. معجم الأدباء لياقوت الحموي(٢٦٨٦/٦) تحقيق: إحسان عباس، نشر: دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط أولى١٤١٤هـ ـــ١٩٩٣م، وبغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة(٢٧٧/٢).

(١) هو أحمد بن إبراهيم بن الزبير الثقفي الغرناطي، أبو جعفر: محدث مؤرخ، من أبناء العرب الداخلين إلى الأندلس، انتهت إليه الرياسة بها في العربية ورواية الحديث والتفسير والأصول.

ولد في جيان سنة ٦٢٧ه، وأقام بمالقة فحدثت له فيها شؤون ومنغصات، فغادرها إلى غرناطة فطاب بها عيشه، وأكمل ما شرع فيه من مصنفاته، وتوفي فيها، من كتبه: صلة الصلة، وهو مخطوط كامل، وصل به صلة ابن بشكوال، وله ملاك التأويل في المتشابه اللفظ في التنزيل، والبرهان في ترتيب سور القرآن، والإعلام بمن ختم به القطر الأندلسي من الأعلام، ومعجم جمع فيه أسماء شيوخه وتراجمهم، قال ابن حجر: كانت له مع ملوك عصره وقائع، وكانت بينه وبين أميري مالقة وغرناطة صداقة، وكان معظما عند الخاصة والعامة، وتوفي سنة ٧٠٨ه. الأعلام للزركلي(٨٦/١) الناشر: دار العلم للملايين، الطبعة: الخامسة عشر ـــ أيار ـــ مايو ٢٠٠٢م، شجرة النور الزكية في طبقات المالكية (٣٠٣/١ ، ٣٠٤) لمحمد بن محمد بن عمر بن علي بن سالم مخلوف (المتوفى١٣٦٠هـ)، علق عليه: عبد المجيد خيالي الناشر: دار الكتب العلمية، لبنان، الطبعة: الأولى١٤٢٤هـ ـــ٢٠٠٣م.

(٢) هو: محمد بن إبراهيم بن سعد الله بن جماعة الكناني الحموي الشافعيّ، بدر الدين، أبو عبد الله: قاض، من العلماء بالحديث وسائر علوم الدين، ولد في حماة ٦٣٩ه، وولي الحكم والخطابة بالقدس، ثم القضاء بمصر، فقضاء الشام، ثم قضاء مصر إلى أن شاخ وعمي، كان من خيار القضاة، وتوفي بمصر.

له تصانيف منها: المنهل الرويّ في الحديث النبوي، وكشف المعاني في المتشابه من المثاني، وغرّة التبيان لمن لم يُسّم في القرآن، وتذكرة السامع والمتكلم في آداب العالم والمتعلم، وغرر البيان لمبهمات القرآن، وتحرير الأحكام في تدبير أهل الإسلام، وغيرها، توفي سنة ٧٣٣ه. الأعلام للزركلي (٢٩٧/٥، ٢٩٨)، معجم المؤلفين (٩/ ١١١) عمر بن رضا بن محمد راغب بن عبد الغني كحالة الدمشقي (المتوفى ١٤٠٨هـ)، الناشر: مكتبة المثنى ـــ بيروت، دار إحياء التراث العربي بيروت.

٥ــ قَطْفُ الْأَزْهَارِ فِي كَشْفِ الْأَسْرَار للسيوطي المتوفى (٩١١ه)([1]).
٦ــ فتح الرحمن بكشف ما يلتبس في القرآن لزكريا بن محمد بن أحمد بن زكريا الأنصاري، زين الدين أبو يحيى المتوفى(٩٢٦هـ)([2]).
وقد سار أصحاب هذه المؤلفات على ترتيب السور القرآنية ترتيبا مصحفيا. قال الزركشي: " وَقَدْ صَنَّفَ فِيهِ جَمَاعَةٌ، وَنَظَمَهُ السَّخَاوِيُّ، وصنّف في توجيهه: الكرماني كتاب البرهان، والرازي كتاب درّة التأويل، وأبو جعفر ابن الزبير وهو أبسطها في مجلّدين "([3])
وقال السيوطي:" وألف في توجيهه: الكرماني كتابه البرهان في متشابه القرآن، وأحسن منه درة التنزيل وغرة التأويل لأبي عبد الله الرازي، وأحسن من هذا ملاك التأويل لأبي جعفر بن الزبير، ولم أقف عليه، وللقاضي بدر الدين ابن جماعة في ذلك كتاب لطيف سمّاه: كشف المعاني عن متشابه المثاني، وَفِي كِتَابِي: أَسْرَارِ التَّنْزِيلِ الْمُسَمَّى قَطْفُ الْأَزْهَارِ فِي كَشْفِ الْأَسْرَارِ مِنْ ذَلِكَ الْجَمُّ الْغَفِيرُ."([4])
ومن المؤلفات ما اهتم بدراسة المتشابه اللفظي في القرآن ولكنه سار على ترتيب الموضوعات، ومن هؤلاء الدكتور/ صالح بن عبد الله بن محمد الشثري، ولكنه كان يعرض لنماذج من القرآن الكريم حسب ترتيب موضوعاته التي رتبها هو، ولم يتعرض لكل آيات القرآن الكريم التي وقع التشابه بينها.

(١) قام السيوطي بتوجيه المتشابه في القرآن فيه، ولكنه لم يكمله بل وقف عند الآية (٩٢) من سورة التوبة، وقد ذكره حاجي خليفة في كتابه كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون (١٣٥٢/٢) الناشر: مكتبة المثنى ـــ بغداد (وصورتها عدة دور لبنانية، بنفس ترقيم صفحاتها، مثل: دار إحياء التراث العربي، ودار العلوم الحديثة، ودار الكتب العلمية)، تاريخ النشر: ١٩٤١م. وقد بتحقيق الجزء الموجود منه د/ أحمد بن محمد الحمادي إصدار وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية ـ قطر ط أولى ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٤م.
(٢) هو زكريا بن محمد بن أحمد بن زكريا الأنصاري السنيكي المصري الشافعيّ، أبو يحيى: شيخ الإسلام، قاض مفسر، من حفاظ الحديث، ولد في سنيكة (بشرقية مصر) سنة ٨٢٣ه، وتعلم في القاهرة وكف بصره سنة ٩٠٦هـ نشأ فقيرا معدما، قيل: كان يجوع في الجامع، فيخرج بالليل يلتقط قشور البطيخ فيغسلها ويأكلها، ولما ظهر فضله تتابعت إليه الهدايا والعطايا، بحيث كان له قبل دخوله في منصب القضاء كل يوم نحو ثلاثة آلاف درهم، فجمع نفائس الكتب وأفاد القارئين عليه علما ومالا، له تصانيف كثيرة، منها: فتح الرحمن، وتحفة الباري على صحيح البخاري، وفتح الجليل تعليق على تفسير البيضاوي، وغيرها، توفي سنة ٩٢٦ه. البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع (٢٥٢/١، ٢٥٣) للإمام محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (المتوفى١٢٥٠هـ)، الناشر: دار المعرفة ـــ بيروت. الأعلام للزركلي (٤٦/٣، ٤٧).
(٣) البرهان في علوم القرآن للزركشي(١١٢/١).
(٤) الإتقان في علوم القرآن (٣٩٠/٣).

القسم الثاني
الدراسة التحليلية للمتشابه اللفظي في سورة آل عمران

عند التدبر في سورة آل عمران وقراءتها قراءة متأنية نجد أن هذه السورة الكريمة قد ورد فيها من الآيات المتشابهة مع غيرها من آيات سور القرآن الكريم مما يلفت انتباه القارئ ويجعله يقف متسائلا: لماذا عبر في هذه الآية بهذا التعبير، وعبر في الآية الأخرى بتعبير آخر سواء أكان ذلك بتقديم لفظ على لفظ آخر في آية وتأخيره في آية أخرى، وربما يكون موضوع الآيتين واحداً، أم بزيادة لفظ في آية دون آية أخرى، أم بإبداله بغيره في آية أخرى، أم بتعريفه في آية وتنكيره في آية أخرى، أم بالتوكيد في آية دون أخرى، أم غير ذلك من وجوه التشابه اللفظي، لذا رأى الباحث أن يجمع هذه الوجوه من التشابه في المباحث التالية:

المبحث الأول: الاختلاف بين الآيات المتشابهة باعتبار التقديم والتأخير

من أنواع المتشابه اللفظي باعتبار السياق ما يكون عن طريق التقديم والتأخير، وعند النظر إلى سورة آل عمران وما ورد فيها من المتشابه اللفظي باعتبار التقديم والتأخير نجد أنه قد ورد فيها ما يأتي:

١ـــ تقديم الإخفاء على الإبداء:

قال تعالى(**قُلْ إِنْ تُخْفُوا مَا فِي صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْدُوهُ يَعْلَمْهُ اللَّهُ وَيَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**)(١)، وقال في سورة البقرة(**لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِنْ تُبْدُوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُمْ بِهِ اللَّهُ فَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**)(٢)

فنجد من أوجه الاختلاف بين الآيتين أنه قدم في سورة آل عمران ذكر الإخفاء، وأخره في آية البقرة، ولم يتعرض الإسكافي ، ولا الكرماني، ولا ابن جماعة، ولا الأنصاري لتوجيه التشابه بين هاتين الآيتين، وإنما تعرض لها الغرناطي من العلماء الذين كتبوا في المتشابه، فوجهها بأن الحديث في سورة آل عمران مع المنافقين، وتقديم الإخفاء على الإبداء هو المناسب لحالهم لبنائهم نفاقهم وأعمالهم على جهلهم بعلم الله بما يخفون من الأعمال، بخلاف سورة البقرة فإن الحديث فيها مع المؤمنين، وهذا هو المطرد في آيات القرآن في حديثه مع المؤمنين.

قال الغرناطي: " فللسائل أن يسأل عن وجه الخلاف في الآيتين.

والجواب عنه ـــ والله أعلم ـــ: أن إبداء الشيء وإخفاء خلافه في المعتقدات صفة المنافقين، وبها امتيازهم من غيرهم من الكفرة قال تعالى(**يُخْفُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ مَا لَا يُبْدُونَ لَكَ**)(٣)، وقال تعالى(**وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ**)(٤)، وهذا كثير في القرآن، وقد أعلم سبحانه أن المنافقين هم الذين يتخذون الكافرين أولياء من دون المؤمنين، وتوعدهم على ذلك بأليم العذاب قال تعالى(**بَشِّرِ الْمُنَافِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا. الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ**)(٥)، فحذر المؤمنين من ذلك فقال(**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَتُرِيدُونَ أَنْ تَجْعَلُوا لِلَّهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا**

(١) سورة آل عمران الآية (٢٩).
(٢) سورة البقرة الآية (٢٨٤).
(٣) سورة آل عمران من الآية (١٧٤).
(٤) سورة البقرة من الآية (١٤).
(٥) سورة النساء من الآيتين (١٣٨، ١٣٩).

مُبِينًا)(١) وقال تعالى(**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ)**(٢)، إلى غير هذه من الآي، فلما تقرر هذا النهي وتكرر، وقد تقدم آية آل عمران قوله ناهيا وزاجرا:(**لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ)**(٣)، وحذر تعالى من ذلك أشد التحذير إلا عند التقية فقال تعالى(**وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً**)، ثم أتبع تعالى بتأكيد التحذير فقال **(وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ)** ثم قال(**وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ)**، فلما نهاهم عن المرتكب الذى به امتياز المنافقين كان آكد شيء وأهمه إعلامهم بأنه سبحانه يعلم ما يخفون كعلمه ما يبدون لبناء المنافقين كفرهم على ما جهلوه من علمه سبحانه بخفيات ضمائرهم وإلحادهم في ذلك جهلا بما يجب لله سبحانه وتكذيبا لرسوله (**أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ وَأَنَّ اللَّهَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ)**(٤)، فهذا وجه تقديم الإخفاء في آية آل عمران، وتأمل تقديمه في الجاري مجرى هذه الآيات كقوله تعالى في قصة حاطب ابن أبي بلتعة رحمه الله (**تُسِرُّونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنْتُمْ)**(٥)، أما آية البقرة فلم يجر فيها ذكر النفاق ولا ولا صفة أهله، وإنما الخطاب فيها وفى آية الدَيْن قبلها وفيما أعقبت به بعدُ للمؤمنين فيما يخصهم من الأحكام فورد فيها قوله تعالى(**وَإِنْ تُبْدُوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُمْ بِهِ اللَّهُ)** مقدما فيها بادى أعمالهم بناء على سلامة بواطنهم وتنزههم عن صفة المنافقين، ومنه قوله تعالى(**مَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ)**(٦)، فتقدم ذكر ما يبدو لأنه خطاب للمؤمنين، ومنه قوله تعالى(**لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ فِيهَا مَتَاعٌ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ)**(٧) والخطاب للمؤمنين، وهذا جار مطرد فيما يلحق بهذا الضرب، كما اطرد البدء بالإخفاء على الإعلان حيث يتقدم ذكر أهل الكفار أو ينتظم الكلام بذكرهم كقوله تعالى(**يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ)**(٨) بعد قوله تعالى(**ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ)**(٩) وكقوله تعالى(**وَيَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا**

(١) سورة النساء الآية (١٤٤).
(٢) سورة الممتحنة من الآية (١).
(٣) سورة آل عمران من الآية (٢٨).
(٤) سورة التوبة الآية (٧٨).
(٥) سورة الممتحنة من الآية (١).
(٦) سورة المائدة الآية (٩٩).
(٧) سورة النور الآية (٢٩).
(٨) سورة الأنعام من الآية (٣).
(٩) سورة الأنعام من الآية (١).

تُعْلِنُونَ)([1]) بعد قوله تعالى(**هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ فَمِنْكُمْ كَافِرٌ وَمِنْكُمْ مُؤْمِنٌ**)([2]))([2]) وكقوله تعالى(**وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ**)([3]) وقد وقد تقدمها قوله تعالى(**أَإِذَا كُنَّا تُرَابًا وَآبَاؤُنَا أَئِنَّا لَمُخْرَجُونَ**)([4])، فاطرد ما ما ذكرناه في الطرفين على رعى الإيمان والنفاق وجاء كلٌ على ما يناسب.

والله أعلم. ([5])

وقال السيوطي: ولم أر من تعرض لذلك، ويمكن أن يقال: لما كانت الآية هنا عقب التحذير من الموالاة والحب، وهما من أعمال القلوب، ناسب الابتداء بالإخفاء، وآية البقرة عقب التحذير من كتم الشهادة، وأداء الشهادة من أعمال اللسان، فناسب الابتداء بالإبداء.([6])

وقال الراغب الأصفهاني: إن قيل: لِمَ قدَّم الإخفاء على الإبداء، ومن البادي يُتَوَصَّل إلى الخافي، وقضيّة المتمدح أن يقول: فلان لا يفوتني مشى أو عدى، ولا يكاد يُقال: عدى أو مشى؟ قيل: لما كان العلم يظهر في النفس، ثم يبرز بالقول أو بالكتاب صار الخافي سبباً للبادي، فنبه بذلك أنه يعلم الشيء منا قبل أن نُظهره، وأنه يستوي عنده السر والجهرُ، وعلى هذا قال(**سَوَاءٌ مِنْكُمْ مَنْ أَسَرَّ الْقَوْلَ وَمَنْ جَهَرَ بِهِ**)([7])، وقال:(**يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ**)([8])، فقدم السر في هذا الموضع، وقال في موضع(**وَإِنْ تُبْدُوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ**)فقدم الإبداء تنبيها أنهما عنده سواء. ([9])، وجعله أبو حيان من التفنن في الفصاحة ([10])، وكذلك السمين الحلبي ([11])، وقال أبو السعود: وأما تقديمُ الإبداء على الإخفاء على عكس ما في قوله عز

---

(١) سورة التغابن من الآية (٤).
(٢) سورة التغابن من الآية (٢).
(٣) سورة النمل الآية (٧٤).
(٤) سورة النمل من الآية (٦٧).
(٥) ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه المتشابه اللفظ من آي التنزيل (٧٢/١، ٧٣) لأحمد بن إبراهيم ابن الزبير الثقفي الغرناطي، أبو جعفر (المتوفى ٧٠٨هـ)، وضع حواشيه: عبد الغني محمد علي الفاسي، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت ـــ لبنان.
(٦) قطف الأزهار في كشف الأسرار (٥٧٩/١) وبالغ السيوطي في نفي التعرض للآية قبله، فقد تعرض لتوجيهها قبله الغرناطي وربما يرجع ذلك إلى أنه قال: لم أقف على كتاب الغرناطي.
(٧) سورة الرعد من الآية (١٠).
(٨) سورة الأنعام من الآية (٣).
(٩) تفسير الراغب الأصفهاني (٥١٤/٢، ٥١٥) جزء ٢، ٣: من أول سورة آل عمران ـــ وحتى الآية ١١٣ من سورة النساء، تحقيق ودراسة: د. عادل بن علي الشِّدِّي، دار النشر: دار الوطن ـــ الرياض، الطبعة الأولى١٤٢٤هـ ـــ ٢٠٠٣م.
(١٠) البحر المحيط لأبي حيان (٩٦/٣) تحقيق: صدقي محمد جميل، الناشر: دار الفكر ـــ بيروت، الطبعة: ١٤٢٠هـ.
(١١) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون للسمين الحلبي (١١٤/٣) تحقيق: الدكتور أحمد محمد الخراط، الناشر: دار القلم، دمشق.

وجل(**قُلْ إِن تُخْفُواْ مَا فِي صدوركم أَوْ تُبْدُوهُ يَعْلَمْهُ الله**) فلِما أن المعلَّق بما في أنفسهم ههنا هو المحاسبة والأصلُ فيها الأعمالُ البادية، وأما العلمُ فتعلُّقه بها كتعلقه بالأعمال الخافية، كيف لا وعلمُه سبحانه بمعلوماته متعالٍ عن أن يكون بطريق حصول الصور بل وجود كل شيء في نفسه في أيّ طور كان علمٌ بالنِّسبةِ إليهِ تعالى، وهذا لا يختلفُ الحالُ بين الأشياء البارزةِ والكامنة خلا أن مرتبة الإخفاءِ متقدمةٌ على مرتبة الإبداء؛ إذ ما من شيء يبدى إلا وهُو أو مباديهِ قبل ذلك مضمرٌ في النفس، فتعلقُ علمِه تعالى بحالتِهِ الأُولى متقدمٌ على تعلقهِ بحالته الثانية. (١) وكذلك وجهه الألوسي.(٢)

وكذلك قال ابن عجيبة في تفسيره: وقدَّم في سورة البقرة الإبداء، وأخره هنا؛ لأن المحاسبة لا ترتيب فيها بخلاف العلم، فإن الأشياء التي تبرز من الإنسان يتقدم إضمارها في قلبه ثم تبرز، فقد تعلق علم الله تعالى بها قبل أن تبرز، فلذلك قدَّم هنا الإخفاء لتقدم وجوده في الصدر، وأخره في البقرة؛ لأن المحاسبة لا ترتيب فيها. (٣)

وبالنظر إلى الآيتين نجد أن السياق في سورة آل عمران في الآية السابقة نهي الله المؤمنين عن موالاة الكافرين حيث قال تعالى(**لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ**)، ومن المعروف أن هذا لو حدث من أحد من المؤمنين يكون سراً وسيحرص على إخفائه، ولذا بدأ الله فيها بالحديث عن الإخفاء، بخلاف سورة البقرة فليس فيها مثل هذا النهي، وإنما سبقها بيان أن ما في السماوات والأرض ملك لله تعالى يتصرف فيها كيف شاء، فقدم الإبداء على الإخفاء.

فنجد أن الغرناطي علل تقديم الإخفاء على الإبداء في آية آل عمران، وتأخيره في سورة البقرة عن الإبداء بأن ذلك راجع إلى الخطاب الوارد في الآيات، باعتبار أن الخطاب في سورة آل عمران كان للمنافقين، وهؤلاء من شأنهم إخفاء ما في صدورهم، فأعلمهم الله تعالى أنه يعلم ما في صدورهم، مع إيراد الغرناطي لآيات مناظرة من القرآن ورد فيها تقديم الإخفاء على الإبداء حين يكون الحديث مع المنافقين، أما آية البقرة

(١) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم لأبي السعود (٢٧٢/١، ٢٧٣) الناشر: دار إحياء التراث العربي ـــ بيروت.

(٢) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني للألوسي (٦٣/٢) تحقيق: علي عبد الباري عطية، الناشر: دار الكتب العلمية ـــ بيروت، الطبعة: الأولى ١٤١٥هـ.

(٣) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد لابن عجيبة (٣٤٢/١) تحقيق: أحمد عبد الله القرشي رسلان، رسلان، الناشر: الدكتور حسن عباس زكي ـــ القاهرة، الطبعة: ١٤١٩هـ.

فالحديث فيها مع المؤمنين وهؤلاء يناسبهم تقديم الإبداء على الإخفاء.
أما المفسرون فقد عللوا تقديم الإخفاء على الإبداء بالسياق الذي تعلق به كل منهما في كل موضع من العلم والمحاسبة، فقد ورد في سورة البقرة بلفظ " يحاسبكم به الله" والمحاسبة لا ترتيب فيها، فالله يحاسب على البادي وعلى المُخفَى، أما في سورة آل عمران فقد ورد بلفظ " يعلمه الله" وعلمه تعالى بالأشياء مستوٍ فيه الأشياء الخفية والأشياء البادية إلا أن الترتيب الخارجي لفعل أي شيء يكون خفيا في النفس ثم يبرز في الخارج، فلذا قدم سبحانه الإخفاء على الإبداء في آية آل عمران، فضلا عن أن الآية فيها إظهار لسعة علم الله تعالى، والمبالغة تكون بعلمه تعالى للشيء الخفي قبل البادي.
فالغرناطي اعتمد في توجيهه على الخطاب الوارد في كل من الآيتين ولمن توجه، أما المفسرون فقد اعتمدوا في توجيههم على ما تعلق به فعل الإبداء والإخفاء في كل من الآيتين. والله أعلم.

٢ــ تقديم ذكر الكِبَر على ذكر المرأة:

قال تعالى(**قَالَ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَقَدْ بَلَغَنِيَ الْكِبَرُ وَامْرَأَتِي عَاقِرٌ قَالَ كَذَلِكَ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ**)(١) وقال تعالى في سورة مريم(**قَالَ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ الْكِبَرِ عِتِيًّا**)(٢)
فقدم هنا في سورة آل عمران ذكر الكِبَر على ذكر المرأة، وقدم في سورة مريم ذكر المرأة على الكِبَر.
ولم يتعرض لهذه الآية الخطيب الإسكافي، ووجه الكرماني ما ورد في سورة مريم بتقديم ذكر المرأة في هذه الآية بأنه قد تقدم في أول السورة ذكر الكِبَر على ذكر المرأة حيث قال(**قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا**)(٣)، وأخر ذكر المرأة بعدها في قوله(**وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِنْ وَرَائِي وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا**)(٤) ولما أعاد ذكرهما مرة أخرى في سؤاله لله تعالى على سبيل التعجب قدم ذكر المرأة على ذكر الكِبَر ليوافق قوله "عتيا" ما ورد بعده من الآيات في قوله (**سَوِيًّا**)(٥)،

(١) سورة آل عمران الآية (٤٠).
(٢) سورة مريم الآية (٨).
(٣) سورة مريم من الآية (٤).
(٤) سورة مريم من الآية (٥).
(٥) سورة مريم من الآية (١٠).

(وَعَشِيًّا)([1])، و**(صَبِيًّا)**([2]).([3]) فنجد الكرماني يعلل تأخير الكِبَر على ذكر المرأة في سورة مريم لمراعاة رؤوس الآي.

وكذلك قال الغرناطي: للسائل أن يسأل عن اختلاف السياق في الآيتين مع اتحاد معناهما.

والجواب عن ذلك ــ والله أعلم ــ: أن المعنى وإن كان في السورتين واحدا وفى قضية واحدة فإن مقاطع آي وسورة مريم وفواصلها استدعت ما يجرى على حكمها ويناسبها من لدن قوله تعالى في افتتاح السورة**(ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكَرِيَّا. إِذْ نَادَى رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيًّا)**([4]) إلى قوله في قصة عيسى عليه السلام **(وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا)**([5])، لم لم تخرج فاصلة منها عن هذا المقطع ولا عدل بها إلى غيره، ثم عادت إلى ذلك من لدن قوله تعالى**(وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا)**([6]) إلى آخر السورة فاقتضت مناسبة آي هذه السورة ورود قصة زكريا عليه السلام على ما تقدم ولم يكن غير ذلك ليناسب، أما آية آل عمران فلم يتقيد ما قبلها من الآي وما بعدها بمقطع مخصوص فجَرَتْ هي على مثل ذلك، والله أعلم. ([7])، وكذلك وجهه ابن جماعة في كتابه ([8])، وكذلك الفيروزآبادي.([9])

وقال الأنصاري عند توجيه الآية في سورة آل عمران: لأن الذَكَر مقدَّمٌ على الأنثى، فقدَّم كبَره هنا، وأُخَّر ثَمَّ لتتوافق الفواصل في "عتيّاً، وَسَوِيّاً،

---

(١) سورة مريم من الآية(١١).
(٢) سورة مريم من الآية (١٢).
(٣) أسرار التكرار في القرآن المسمى البرهان في توجيه متشابه القرآن لما فيه من الحجة والبيان(٨٩/١) محمود بن حمزة بن نصر، أبو القاسم برهان الدين الكرماني، ويعرف بتاج القراء (المتوفى نحو ٥٠٥هـ) تحقيق: عبد القادر أحمد عطا، مراجعة وتعليق: أحمد عبد التواب عوض، نشر: دار الفضيلة.
(٤) سورة مريم الآيتان (٢، ٣).
(٥) سورة مريم الآية (٣٣).
(٦) سورة مريم الآية (٤١).
(٧) ملاك التأويل (٨١/١، ٨٢).
(٨) كشف المعاني في المتشابه من المثاني(١٢٨/١) أبو عبد الله، محمد بن إبراهيم بن سعد الله بن جماعة الكناني الحموي الشافعي، بدر الدين (المتوفى ٧٣٣هـ)، تحقيق: الدكتور عبد الجواد خلف، الناشر: دار الوفاء ــ المنصورة، الطبعة: الأولى ١٤١٠هـ ــــ ١٩٩٠م.
(٩) بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز(١٦٢/١) لمجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى (المتوفى ٨١٧ه)، تحقيق: محمد علي النجار، الناشر: المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ــــ لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة.

وعشيّاً، وصبيّاً " وغيرها. (١) وبمثل هذا التعليل علله أبو حيان، والسمين والسمين الحلبي في تفسيرهما. (٢)، ونظام الدين النيسابوري بأن ما في سورة آل عمران ورد على الأصل، أما في سورة مريم فقد راعى فواصل الآيات(٣)

وذكر الخطيب الشربين المقارنة بين الآيتين ثم قال: وأجيب بأن الواو لا تقتضي الترتيب. (٤)

وذكر الدكتور/عبد العظيم المطعني في الجواب عن سر التقديم والتأخير في الآيتين فقال: والجواب: ولا بدَّ ــ هنا ــ أن نلحظ أمرين:

أولهما: أن زكريا عليه السلام كان يمنعه من الإنجاب سببان: عُقْر امرأته، وتقدم سِنُّه.

ثانيهما: أن هذين السببين كانا يخطران بباله بدرجات متفاوتة أحياناً.

إذا تقرر هذا فإن السبب الذي يمثل في خاطره أكثر يعمد إلى تقديمه، ويؤخر ما عداه، ففي سورة آل عمران أفاد التعبير نفسه أن الكِبَر هو السبب الأظهر عند زكريا عليه السلام، حيث أسند إليه البلوغ **(وَقَدْ بَلَغَنِيَ الْكِبَرُ)** فكأن

الكِبَر كان يطارده حتى أدركه، بخلاف مريم فإن البلوغ فيها مسند إلى ضمير زكريا عليه السلام؛ لذلك قَدم الكِبَر في آل عمران وأخر عُقْر امرأته، أما في مريم فإن تقديم العُقْر على بلوغه الكبَر؛ فلأن العُقْر ــ على ما شرحناه ــ كان السبب الأظهر.

وسبب آخر: أن زكريا عليه السلام قد تقدم على قوله هذا في سورة مريم شكواه إلى ربه من الكبَر: **(رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا)**، ومع هذا فقدَ تلقى البشرى من ربه بأنه وُهبَ له غلامٌ، فكأن الله ألهمه، أو هو

(١) فتح الرحمن بكشف ما يلتبس في القرآن (٨٥/١) لزكريا بن محمد بن أحمد بن زكريا الأنصاري، زين الدين أبو يحيى السنيكي (المتوفى ٩٢٦هـ)، تحقيق: محمد علي الصابوني، الناشر: دار القرآن الكريم، بيروت ـــ لبنان، الطبعة: الأولى ١٤٠٣هـ ـــ١٩٨٣م.

(٢) البحر المحيط (١٣٧/٣)، الدر المصون (١٥٩/٣)، وينظر اللباب في علوم الكتاب لابن عادل الحنبلي(٢٠٢/٥) تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض، الناشر: دار الكتب العلمية ـــ بيروت ــ لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤١٩ هـ ـــ ١٩٩٨م.

(٣) غرائب القرآن ورغائب الفرقان (٤٧٢/٤) لنظام الدين الحسن بن محمد بن حسين القمي النيسابوري (المتوفى٨٥٠هـ)، تحقيق: الشيخ زكريا عميرات، الناشر: دار الكتب العلمية ــ بيروت، الطبعة: الأولى١٤١٦هـ.

(٤) السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير لشمس الدين، محمد بن بن أحمد الخطيب الشربيني الشافعي (المتوفى: ٩٧٧هـ) (٤١٧/٢)، الناشر: مطبعة بولاق (الأميرية) ـــ القاهرة، عام النشر: ١٢٨٥هـ.

فهم من البُشرى أن ما شكاه من الكبَر ليس بسبب مانع من الإنجاب، إذن فالعُقْر ما زال باقياً في خاطر زكريا فقدمه على الكبَر، ثم عطف بلوغه عنه عتياً عليه لأنه لم يشكِ قبلُ العُقْر، فكان عنده السبب الأظهر.

فالتقديم هنا والتأخير هناك، والتأخير هناك والتقديم هنا إنما هو بحسب ما هو أظهر، وكذلك يلاحظ الباحث أن عُقْر امرأة زكريا عليه السلام حين أخر في كلام آل عمران كانت العبارة الدالة عليه:(**وَامْرَأَتِي عَاقِرٌ**) مبتدأ وخبر مجردان، ولكن حين قُدِّم في مريم كانت العبارة الدالة عليه:(**وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا**) بزيادة " كان " إذا قورنت بموضعها في آل عمران، و" كان " تفيد ثبوتَ النسبة في الماضي مع الاستمرار هنا ([1]).

فنجد تعليل الكاتبين في المتشابه اللفظي في القرآن يعتمد على أن التقديم لذِكر المرأة على الكِبَر مراعاة رؤوس الآي في سورة مريم، ووافقهم أبو حيان، والسمين الحلبي، علما بأنه قد يكون من التفنن في الفصاحة؛ حيث قدم ذكر كِبَره في بداية السورة على ذكر عُقر امرأته وهو الموافق لما ورد في سورة آل عمران، ثم قدم ذكر عقر امرأته على الكِبَر في الآية محل البحث ليوافق رؤوس الآي.

وما علل به الأنصاري بتقديم ذكر الكِبَر على عقر امرأته بأن الذكر مقدم على الأنثى توجيه حسن.

٣ـ تقديم الهدى المعرف بأل على "هدى الله": قال تعالى(**وَلَا تُؤْمِنُوا إِلَّا لِمَنْ تَبِعَ دِينَكُمْ قُلْ إِنَّ الْهُدَى هُدَى اللَّهِ**...)([2])، وقال في سورة البقرة(**وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَى**...)([3])، وقال في سورة الأنعام أيضا (**قُلْ أَنَدْعُو مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلَى أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَانَا اللَّهُ كَالَّذِي اسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ فِي الْأَرْضِ حَيْرَانَ لَهُ أَصْحَابٌ يَدْعُونَهُ إِلَى الْهُدَى ائْتِنَا قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَى وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ**) ([4]) .

---

(١) خصائص التعبير القرآني بتصرف يسير (١٧٧/٢، ١٧٨) للدكتور/عبد العظيم إبراهيم محمد المطعني (المتوفى١٤٢٩هـ)، الناشر: مكتبة وهبة، الطبعة: الأولى١٤١٣هـ ـــ ١٩٩٢م.

(٢) سورة آل عمران من الآية (٧٣).

(٣) سورة البقرة من الآية (١٢٠).

(٤) سورة الأنعام الآية (٧١).

فنجد أنه قدم هنا الهدى المعرف بأل على قوله(**هدى الله**)، وأخره في سورة البقرة، وسورة الأنعام. ولم يتعرض الإسكافي لهذه الآية ووجه التشابه بينها وبين آية سورة البقرة، وكذلك الغرناطي.

ووجه الكرماني ما بين الآيتين بأن الْهدى فِي هَذِه السُّورَة هُوَ الدِّين وَقد تقدم فِي قَوْله(**تَبِعَ دِينَكُمْ**)، وَهدى الله الْإِسْلَام، فَكَأَنَّهُ قَالَ بعد قَوْلهم(**وَلَا تُؤْمِنُوا إِلَّا لِمَنْ تَبِعَ دِينَكُمْ**) قل: إِن الدّين عِنْد الله الْإِسْلَام كَمَا سبق فِي أول السُّورَة، وَالَّذِي فِي الْبَقَرَة مَعْنَاهُ الْقبْلَة؛ لِأَن الْآيَة نزلت فِي تَحْوِيل الْقبْلَة، وَتَقْدِيره: قل إِن قبْلَة الله هِيَ الْكَعْبَة ([1]). وكذلك وجهه ابن جماعة في كتابه. ([2])، وكذلك الأنصاري. ([3])

أما المفسرون فلم يبينوا لماذا عبر في كل آية بما فيها ـ في ما وقفت عليه ـ وحملوا المراد بالهدى في الآيتين على الإسلام، وحمل بعضهم الهدى على معناه اللغوي وهو البيان.

قال الماتريدي: وقوله(**إِنَّ الْهُدَى هُدَى اللَّهِ**): يحتمل وجهين:

أحدهما: البيان هو ما بين اللَّه؛ إذ هو الحق، وكل ما فيه الصرف عنه فهو تلبيس وتمويه.

ويحتمل: أن يكون الدِّين هو الذي دعا إليه بما أوضحه وأنار برهانه، لا الدِّين الذي دعا إليه أُولَئِكَ المنحرفون.([4])، والآية يحتمل أن تكون من جملة كلام طائفة اليهود، ويكون قوله(**قُلْ إِنَّ الْهُدَى هُدَى اللَّهِ**) اعتراض من قول الله تعالى، ويحتمل أن يكون من جملة كلام الله تعالى.

ووقف الدكتور المطعني أمام هذه الآيات فأجاد في توجيهها حيث قال: إذا نظرنا في هذه المواضع نظرة فاحصة وجدنا أن تقديم: " هدى الله "، له سبب اقتضاه في الموضعين الأول والثاني.

إذ هو آت نصاً من أول الأمر على أن: " هدى الله هو الهدى " في معرض حديث يُدَّعَى فيه أن غير الله له هدى، ففي البقرة ادعى ذلك الهدى اليهود والنصارى، ومن أجل مدعاهم هذا لا يرضون إلا عمن اتبعهم وصدقهم (**وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ**) فكأنهم

(١) أسرار التكرار في القرآن(٩٢/١).
(٢) كشف المعاني(١٠٤/١).
(٣) فتح الرحمن (٣٧/١)..
(٤) تفسير الماتريدي (تأويلات أهل السنة)، محمد بن محمد بن محمود، أبو منصور الماتريدي (المتوفى٣٣٣هـ) (٤٠٦/٢)، تحقيق: د. مجدي باسلوم، الناشر: دار الكتب العلمية ـــ بيروت، لبنان، الطبعة: الأولى١٤٢٦هـ ـــ ٢٠٠٥م.

يرفضون أن يكون هدى غير ما هم عليه منكرون لما سواه، فجاءت الآية مفندة دعواهم(**قُلْ إِنَّ هدى الله**)، أي: لا هداكم ولا هدى غيركم، ففى الأسلوب قصر قلب([1]).

وكذلك في الأنعام(**لَهُ أَصْحَابٌ يَدْعُونَهُ إِلَى الْهُدَى ائْتِنَا**) فالأصحاب يدعون أن لهم هدى، فسلك القرآن ــ هنا ــ مسلكه في آية البقرة لوجود السبب في الموضعين ، أما تقديم " الهدى " في آل عمران على " هدى الله "؛ فلأن القوم هنا لم يبد منهم إنكار، أو دعوى استئثارهم بالهدى، بل هم مقرون بذلك وإنما يريدون أن يفتنوا مَنْ هم على هدى: " الَّذِينَ آمَنُوا" عما هم عليه ليستأثروا هم بهدى الله حسداً من عند أنفسهم أن يؤتى أحد مثل ما أوتوا، فجات الآية الكريمة(**قُلْ إِنَّ الْهُدَى هُدَى اللَّهِ**)

اعتراضاً مبيناً لوهمهم فيما حسبوا أنهم قادرون عليه من إضلال المؤمنين، فتعريف الهدى بـ " الألف واللام "، وجعله موضوعاً للحديث والحكم عليه بأنه: " هدى الله " هو التعبير الأنسب للمقام لما في " أل " من معنى الاستغراق، ففى العبارة قصر إفراد ([2]). ([3])

٤ــ تقديم القلوب على الجار والمجرور(به):قال تعالى(**وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَى لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُمْ بِهِ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ**)([4])

وقال في سورة الأنفال(**وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَى وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ**)([5]) فأثبت هنا في سورة آل عمران لفظ" لكم"، وأخر الجار والمجرور" به" عن القلوب، وحذف" إن الله"، وَفِي الْأَنْفَال بِحَذْف "لكم" وَتَقْدِيم" بِهِ"، وَإِثْبَات" إن الله "، فوجه الاختلاف بين الآيتين من عدة نواحٍ هي:

ــ إثبات لفظ " لكم " في آية آل عمران، وحذفه من آية الأنفال.

ــ تقديم لفظ " قلوبكم" على " به"، وتأخيره في سورة الأنفال.

---

(١) قصر القلب: هو أحد نوعي القصر الإضافي وهو إذا اعتقد المخاطب عكس الحكم الذي تثبته نحو: ما سافر إلا عليّ " رداً على من اعتقد ان المسافر خليل لا عليٌ"، فقد قلبتَ وعكست عليه اعتقاده. جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع لأحمد ابن إبراهيم بن مصطفى الهاشمي (المتوفى: ١٣٦٢هـ)، ضبط وتدقيق وتوثيق: د. يوسف الصميلي، الناشر: المكتبة العصرية، بيروت.

(٢) قصر الإفراد: إذا اعتقد المخاطب الشركة، نحو: إنَّما الله إله واحدٌ رداً على من اعتقد أنَّ الله ثالث ثلاثةٍ. جواهر البلاغة (١٧٣/١).

(٣) خصائص التعبير القرآني بتصرف يسير (١٥٤/٢، ١٥٥).

(٤) سورة آل عمران الآية (١٢٦).

(٥) سورة الأنفال الآية (١٠).

ـــ الاختلاف في الصيغة في تذييل الآيتين فعبر في آل عمران بقوله(**الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ**)، وفي الأنفال بقوله(إِنَّ **اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ**)وهذا سيأتي توجيهه في مبحث آخر.

والذي يهمنا هنا هو التقديم والتأخير، ونذكر ما يتعلق بالزيادة للفظ " لكم" في موضع دون آخر لشدة الارتباط في التوجيه بالتقديم والتأخير هنا وإن كان له مبحث آخر.

وقد وجه الإسكافي ما جاء في سورة آل عمران من إثبات لفظ " لكم" بأنه جاء على الأصل الذي يقتضيه السياق وهو أن البشارة للمخاطبين، بخلاف سورة الأنفال فقد تقدم لفظ " لكم " في الآية السابقة عليها فأغنى ذلك عن إعادته، وكذلك تأخير الجار والمجرور" به" ليوافق السياق قبله من تأخير لفظ " لكم" في العبارة السابقة في قوله(**إِلَّا بُشْرَى لَكُمْ**)، أما آية الأنفال فجاءت على الأصل من تقديم الجار والمجرور.

قال الإسكافي: للسائل أن يسأل فيقول: ما في الآية الأولى مما يوجب أن يأتي فيها بقوله**" لكم"** وليس في الآية الثانية؟ وما بال قوله" به" قد أُخر في الآية الأولى عن قوله " قلوبكم"، وقدم في الآية الثانية عليه؟

والجواب أن يقال: أما قوله" لكم" في هذه الآية وحذفه من الثانية مع العلم بأن الله تعالى جعل إخباره بإنزال الملائكة لنصرتهم بشارة لهم، وأن**" لكم"** مضمرة في سورة الأنفال كما هي مظهرة في هذه السورة؛ فلأن الأولى جاءت على الأصل، والثانية قد تقدمها **" لكم"** فأغنت عن إعادتها بلفظها ومعناها، وهي في قوله(**إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِأَلْفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ**)(١)، فلما قال" **فَاسْتَجَابَ لَكُمْ**" علم أنه جعل بشرى لهم، فأغنت**" لكم"** الأولى بلفظها ومعناها عن الثانية، وفي الآية الأولى لم يتقدم ما يقوم مثل هذا المقام، فأتى بقوله**" لكم"** على الأصل.

وأما تأخير**" به"** بعد قوله**" قلوبكم"** فلأنه لما أخر الجار والمجرور في الكلام الأول، وهو قوله تعالى(**وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَى لَكُمْ**)، وعطف الكلام الثاني عليه، وقد وقع فيه جار ومجرور وجب تأخيرهما في اختيار الكلام ليكون الثاني كالأول في تقديم ما الكلام أحوج إليه، وتأخير ما قد يستغني عنه.

(١) سورة الأنفال الآية (٩).

وأما تقديم **" به"** في الآية الثانية؛ فلأن الأصل في كل خبر يُصَدّر بفعل أن يكون الفاعل بعده، ثم المفعول والجار المجرور، وقد يقدم المفعول على الفاعل إذا كان اللبس واقعا فيه، وأريد إزالته عنه، كما تقول: ضرب عمراً زيدٌ، لا محمدا؛ لأن المخاطب عنده أن المضروب محمد، ولا خلاف بين المتخاطبين في أن الضارب زيد، فهو يبدأ بما هو أهم، وعنايته ببيانه أتم، وكذلك الجار والمجرور بمنزلة المفعول به في التقديم والتأخير وشبههما.

وفي هذا الموضع إذ لم يعرض في اللفظ من التوفقة ما يوجب إجراء الكلام على الأصل كما كان في سورة آل عمران، فإن المعتمد بتحقيقه عند المخاطبين إنما هو الإمداد بالملائكة، وهو الذي أخبر الله تعالى عنه أنه لم يجعله إلا بشرى، فوجب أن يقدم في الكلام الثاني، وهو المضمر بعد الباء في قوله تعالى (به) على الفاعل، فقال تعالى(**وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ**). (١)

ووجهه الكرماني بأن الْبُشْرَى هُنَا للمخاطبين فَبين وَقَالَ**" لكم"**، وَفِي الْأَنْفَال قد تقدم**" لكم"** فِي قَوْله(**فَاسْتَجَابَ لَكُمْ**) فَاكْتفى بذلك، وَقدم " **قُلُوبكُمْ**" هُنَا وَأخر **"بِهِ"** ازدواجا بَين المخاطبين فَقَالَ(**وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَى لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُمْ بِهِ**)، وَقدم**" بِهِ"** فِي الْأَنْفَال ازدواجا بَين الغائبين فَقَالَ(**وَمَا جعله الله إِلَّا بشرى ولتطمئن بِهِ قُلُوبكُمْ**)(٢)، وكذلك تبعه الفيروزآبادي في هذا التوجيه (٣).

وقال الغرناطي: للسائل أن يسأل فيقول: مقصود الآيتين واحد في الموضعين من حيث المعنى وهما لقوم بأعيانهم وهم أهل بدر رضى الله عنهم، فما وجه زيادة **" لكم "** في آية آل عمران ولم تزد في الأخرى؟ وتقديم القلوب على المجرور هنا وتأخيرها عنه في آية الأنفال؟ واستئناف تأكيد الإخبار بالصفتين العليتين في سورة الأنفال بـ **"إن "** ولم تردا جاريتين على اسم الله سبحانه كما في آل عمران؟(٤) فهذه ثلاث سؤالات.

والجواب عن الأول والثاني والله أعلم: أن آية آل عمران لما تقدم فيها قوله تعالى(**وَيَأْتُوكُمْ مِنْ فَوْرِهِمْ هَذَا**)(٥) والإخبار عن عدوهم فاختلط ذكر الطائفتين وضمهما كلام واحد، فجردت البشارة لمن هدى منهما وأنها

(١) درة التنزيل (٣٨٩/١).
(٢) أسرار التكرار في القرآن (٩٢/١)
(٣) بصائر ذوي التمييز (١٦٦/١).
(٤) لم نتعرض للحديث هنا عن السؤال الثالث وهو اختلاف الصيغة في تذييل الآيتين حيث سيأتي الحديث عنه في مبحث آخر.
(٥) سورة آل عمران من الآية (١٢٥).

لأولياء الله المؤمنين، فجيء بضمير خطابهم متصلا بلام الجر المقتضية الاستحقاق فقيل(**بشرى لكم**)، وبين أن قلوبهم هي المطمئنة بذلك فقيل(**ولتطمئن قلوبكم به**)، فقدمت القلوب على المجرور اعتناء وبشارة ليمتاز أهلها ممن ليس لهم نصيب.

أما آية الأنفال فلم يتقدم فيها ذكر لغير المؤمنين فلم يحتج إلى الضمير الخطابي في لكم، وأيضا فإن آية الأنفال قد تقدم قبلها قوله تعالى(**وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ**)(١) فأغنى عن عودته فيما بعده اكتفاء بما قد حصل مما تقدم من تخصيصهم بذلك. (٢)

وقال ابن جماعة: إن آية آل عمران ختم فيها الجملة الأولى بجار ومجرور وهو قوله (لكم) فختمت الجملة التي تليها بمثله وهو قوله (به) لتناسب الجملتين.

وآية الأنفال: خلت الأولى عن ذلك فرجع إلى الأصل وهو إيلاء الفاعل لفعله، وتأخير الجار الذي هو مفعول.

وجواب آخر: وهو أنه لما تقدم في سورة الأنفال " **لكم**" في قوله(**فَاسْتَجَابَ لَكُمْ**)علم أن البشرى لهم، فأغنى الأول عن ثان، ولم يتقدم في آل عمران مثله، وأما " **به**" فلأن المفعول قد تقدم على الفاعل لغرض صحيح من اعتناء، أو اهتمام، أو حاجة إليه في سياق الكلام، فقدم " **به**" هنا اهتماما، وجاء في آل عمران على الأصل.

وجواب آخر: وهو التفنن في الكلام. (٣)، وكذلك وجهه الأنصاري. (٤)

وقال أبو حيان: وَأُثْبِتَ فِي آلِ عِمْرَانَ؛ لِأَنَّ الْقِصَّةَ فِيهَا مُسْهَبَةٌ، وَهُنَا مُوجَزَةٌ فَنَاسَبَ هُنَا الْحَذْفُ، وَهُنَا قَدَّمَ، وَأَخَّرَ هُنَاكَ عَلَى سَبِيلِ التَّفَنُّنِ وَالِاتِّسَاعِ فِي الْكَلَامِ. (٥)

وقال الطاهر ابن عاشور: وَتَقَدَّمَ الْقَوْلُ فِي نَظِيرِ هَذِهِ الْآيَةِ فِي سُورَةِ آلِ عِمْرَانَ إِلَّا لِتَعَرُّضٍ لِمَا بَيْنَ الْآيَتَيْنِ مِنَ اخْتِلَافٍ فِي تَرْتِيبِ النَّظْمِ وَذَلِكَ فِي ثَلَاثَةِ أُمُورٍ:

أَحَدُهَا: أَنَّهُ قَالَ فِي آلِ عِمْرَانَ: (**إِلَّا بُشْرَى لَكُمْ**) وَحَذْفَ " لَكُمْ" هُنَا دَفْعًا لِتَكْرِيرِ لَفْظِهِ لِسَبْقِ كَلِمَةِ " لَكُمْ" قَرِيبًا فِي قَوْلِهِ: (**فَاسْتَجَابَ لَكُمْ**) فَعَلِمَ

(١) سورة الأنفال من الآية (٧).
(٢) ملاك التأويل (٨٩/١، ٩٠).
(٣) كشف المعاني(١٣٢/١).
(٤) فتح الرحمن (٩٦/١، ٩٧).
(٥) البحر المحيط (٢٨٠/٥).

السَّامِعُ أَنَّ الْبُشْرَى لَهُمْ، فَأَغْنَتْ " لَكُمْ" الْأُولَى بِلَفْظِهَا وَمَعْنَاهَا، عَنْ ذِكْرِ" لَكُمْ" مَرَّةً ثَانِيَةً، وَلِأَنَّ آيَةَ آلِ عِمْرَانَ سِيقَتْ مَسَاقَ الِامْتِنَانِ وَالتَّذْكِيرِ بِنِعْمَةِ النَّصْرِ فِي حِينِ الْقِلَّةِ وَالضَّعْفِ، فَكَانَ تَقْيِيدُ بُشْرَى بِأَنَّهَا لِأَجْلِهِمْ زِيَادَةً فِي الْمِنَّةِ أَيْ: جَعَلَ اللَّهُ ذَلِكَ بُشْرَى لِأَجْلِكُمْ كَقَوْلِهِ تَعَالَى(**أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ**)([1])، وَأَمَّا آيَةُ الْأَنْفَالِ فَهِيَ مَسُوقَةٌ مَسَاقَ الْعِتَابِ عَلَى كَرَاهِيَةِ الْخُرُوجِ إِلَى بَدْرٍ فِي أَوَّلِ الْأَمْرِ، وَعَلَى اخْتِيَارِ أَنْ تَكُونَ الطَّائِفَةُ الَّتِي تُلَاقِيهِمْ غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ، فَجَرَّدَ بُشْرَى عَنْ أَنْ يُعَلَّقَ بِهِ " لَكُمْ"؛ إِذْ كَانَتِ الْبُشْرَى لِلنَّبِيﷺ وَمَنْ لَمْ يَتَرَدَّدُوا مِنَ الْمُسْلِمِينَ، وَقَدْ تَقَدَّمَ ذَلِكَ فِي آلِ عِمْرَانَ.

ثَانِيهَا: تَقْدِيمُ الْمَجْرُورِ هُنَا فِي قَوْلِهِ:(**بِهِ قُلُوبُكُمْ**) وَهُوَ يُفِيدُ الِاخْتِصَاصَ، فَيَكُونُ الْمَعْنَى: وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ لَا بِغَيْرِهِ، وَفِي هَذَا الِاخْتِصَاصِ تَعْرِيضٌ بِمَا اعْتَرَاهُمْ مِنَ الْوَجَلِ مِنَ الطَّائِفَةِ ذَاتِ الشَّوْكَةِ وَقَنَاعَتِهِمْ بِغَنْمِ الْعُرُوضِ الَّتِي كَانَتْ مَعَ الْعِيرِ، فَعَرَّضَ لَهُمْ بِأَنَّهُمْ لَمْ يَتَفَهَّمُوا مُرَادَ الرَّسُولِ ﷺ، حِينَ اسْتَشَارَهُمْ، وَأَخْبَرَهُمْ بِأَنَّ الْعِيرَ سَلَكَتْ طَرِيقَ السَّاحِلِ فَكَانَ ذَلِكَ كَافِيًا فِي أَنْ يَعْلَمُوا أَنَّ الطَّائِفَةَ الْمَوْعُودَ بِهَا تَمَحَّضَتْ أَنَّهَا طَائِفَةُ النَّفِيرِ، وَكَانَ الشَّأْنُ أَنْ يَظُنُّوا بِوَعْدِ اللَّهِ أَكْمَلَ الْأَحْوَالِ، فَلَمَّا أَرَادَ اللَّهُ تَسْكِينَ رَوْعِهِمْ، وَعَدَهُمْ بِنُصْرَةِ الْمَلَائِكَةِ عِلْمًا بِأَنَّهُ لَا يُطَمْئِنُ قُلُوبَهُمْ إِلَّا ذَلِكَ، وَجَعَلَ الْفَخْرُ: التَّقْدِيمَ هُنَا لِمُجَرَّدِ الِاهْتِمَامِ بِذَلِكَ الْوَعْدِ، وَذَلِكَ مِنْ وُجُوهِ التَّقْدِيمِ لَكِنَّهُ وَجَّهَ تَأْخِيرَهُ فِي آلِ عِمْرَانَ بِمَا هُوَ غَيْرُ مَقْبُولٍ. ([2])

وقال الدكتور المطعني: والجواب ــ فيما أرى ــ إننا نلحظ في الموضعين فرقين:

أحدهما: مستفاد من النص نفسه، والثاني: خارج عنه، وكلاهما يقتضيان مجيء النظم في الموضعين على ما هما عليه، فالأمر الذي يُفهم من النص نفسه: في آية الأنفال استغاثة من المؤمنين يوم بدر بربهم، والاستغاثة: طلب الغوث، والمستغيث متشوِّق لما يُغاث به متطلع إليه في موطن الخوف وطلب النجدة، فجاء قوله تعالى(**فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِأَلْفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ. وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَى وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ**)، فقدم ضَمَير الإمداد مع عامله على القلوب لاهتمامهم به، وشدة حاجتهم إليه؛ لأنه موضع رجائهم، فالمقام هو الذي اقتضى تقديمه، ولعل عَجُزَ الآية

(١) سورة الشرح الآية (١).
(٢) التحرير والتنوير (٢٧٦/٩، ٢٧٩).

يقوي ذلك(**إن اللهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ**)عزيز: لا يغلب جنده، وحكيم: لا يعطى النصر والمدد إلا لمن يستحق، مؤكداً ذلك بـ " إن " واسمية الجملة.

أما آية آل عمران فقد خلت من هذا الاعتبار، فأخرج الكلام فيها مخرج الوعد المشروط(**بَلَى إِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُمْ مِنْ فَوْرِهِمْ هَذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ. وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَى لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُمْ بِهِ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ**)، ففي الآية حكاية ما حدث يوم بدر، وتذكير لهم بما صنع الله معهم فيها، واعداً أن يصنعه في أُحد لو صبروا واتقوا، فلم يصبروا عن الغنائم، ولم يتقوا حيث خالفوا أمر رسول اللهﷺ فلذلك لم تنزل الملائكة.

والذي يُفهم من خارج النص: أن الأنفال نزلت في غزوة بدر والدماء لم تجف بعد، والعهد بها لم يطل، فالخطاب فيها مُؤسِس، فروعي فيها ما روعي من مقتضيات الأحوال على نحو ما ذكرنا.

وآية آل عمران تذكير بما حدث، وحكاية حال مضت إذ هي ــ أي آل عمران ــ مدنية متأخرة في النزول عن وقوع غزوة بدر، وفرق بين ما يُؤسس، وما يُحكى، لذلك اقتضى الحال في آل عمران أن يأتي التعبير فيها على الأصل إذ لا مقتضى للعدول عنه.([1])

فنلاحظ من خلال التعليل لاختلاف النظمين بين الآيتين أن من ذكر تعليل اختلاف النظمين بالتقديم والتأخير من المفسرين قد تأثر بما ذكره الكاتبون في المتشابه اللفظي وزادوا عليهم بعض التعليلات، كما فعل الطاهر ابن عاشور رحمه الله في تعليله بإثبات لفظ" لكم" لمزيد الامتنان عليهم، بخلاف آية الأنفال فقد أغنى ذكرها في الآية السابقة عليها وهي قوله(**فَاسْتَجَابَ لَكُمْ**)عن ذكرها مرة أخرى، كما وجَه تقديم لفظ" به" هنا بأنه للاهتمام، وما في الأنفال جاء على الأصل.

٥ــ تقديم المغفرة على العذاب:

قال تعالى(**وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ يَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ**)([2])، وقال في سورة البقرة(**لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِنْ تُبْدُوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُمْ بِهِ اللَّهُ فَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**)([3])، وقال في سورة المائدة(**وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ**

(١) خصائص التعبير القرآني (١٦٨/٢، ١٧٠)

(٢) سورة آل عمران الآية (١٢٩).

(٣) سورة البقرة الآية (٢٨٤).

قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِمَّنْ خَلَقَ يَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ)(١)، وقال في سورة الفتح(**وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا**)(٢)، فورد في هذه الآي الأربع بتقديم الغفران وتأخير التعذيب، بينما ورد في سورة المائدة(**أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**)(٣) بتقديم التعذيب وتأخير المغفرة على خلاف ما ورد في الآي الأربع المذكورة. ولم يتعرض للحديث عنها الإسكافي.

وقال الكرماني: لِأَنَّهَا نزلت بعْدهَا فِي حق السَّارِق والسارقة، وعذابهما يَقع فِي الدُّنْيَا، فَقدم لفظ الْعَذَاب، وَفِي غَيرهَا قدم لفظ الْمَغْفِرَة رَحْمَة مِنْهُ تَعَالَى وترغيبا للعباد فِي المسارعة إِلَى مُوجبَات الْمَغْفِرَة جعلنَا الله تَعَالَى مِنْهُم بمنه وكَرمه. (٤)، وتبعه الفيروزآبادي في هذا التوجيه.(٥)

وقال الغرناطي: فللسائل أنه يسأل عن ذلك، والجواب عنه ــ والله أعلم ــ: أن هذه الآية لما تقدمها قوله تعالى(**إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلَافٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ. إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَقْدِرُوا عَلَيْهِمْ فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ**)(٦)، ثم بعد ذلك قوله تعالى(**وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ. فَمَنْ تَابَ مِنْ بَعْدِ ظُلْمِهِ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ اللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ**)(٧)، فقدم في هاتين القصتين من خبر المحاربين والسارقين أمر تعذيبهم جزاء على فعلهم، ثم ذكر المغفرة لهم إن تابوا، وأتبع ذلك بقوله تعالى(**أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ...)الآية**، وبناؤها على ما تقدمها قبلها ويليها كما تبين، فقدم ذكر العذاب على المغفرة لمناسبته لما اتصلت به وبقيت عليه.

وأما الآي الأربع فلم يقع قبل شيء منها ذكر الواقع في سورة المائدة، وإنما تقدمها ما يفهم قوة الرجاء لمن أحسن وأناب كقوله تعالى في آية

(١) سورة المائدة من الآية (١٨).
(٢) سورة الفتح الآية (١٤).
(٣) سورة المائدة الآية (٤٠).
(٤) أسرار التكرار في القرآن (٨٧/١، ٨٨).
(٥) بصائر ذوي التمييز (١٥٥/١).
(٦) سورة المائدة الآيتان (٣٣، ٣٤).
(٧) سورة المائدة الآيتان (٣٨، ٣٩).

البقرة(**وَإِنْ تُبْدُوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ**)، والخطاب للمؤمنين، وورد قبل الآية الثانية من الأربع قوله تعالى(**لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ**)([1])، وقبل الثالثة(**وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ**) إلى قوله تعالى **(بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِمَّنْ خَلَقَ)**، وفى هذا وإن كان خطابا لأهل الكتابين تنبيه لهم وأنهم إن أسلموا وأنابوا لربهم رجوا عفوه ومغفرته، وقبل الآية الرابعة قوله تعالى(**إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ**)([2])، ولم يخرج الكلام إلى غير هذا من تعريف نبيه ﷺ بعليّ حاله وما منحه، والإعلام بحال المخلفين من الأعراب وما جرى في ظنهم، وكل ذلك تثبيت للمؤمنين ومنبئ بما تعقبهم الاستجابة لله ولرسوله ثم أتبع ذلك بالإعلام بأنه سبحانه المالك للكل والمتصرف فيهم بما يشاء، فقال تعالى(**وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ)** وأفهم ذلك أن فعل المخلفين من الأعراب غير خارج عما أراده وقدره، وأن مخالفتهم لا تضره تعالى، وأنها صادرة عن قضائه، فناسب هذه الأربع بجملتها تقديم ذكر المغفرة وجاء كلٌ على ما يناسب، والله أعلم.([3])

وقال ابن جماعة عند حديثه عن آية سورة البقرة: قوله تعالى(**فَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ...)**الآية قدم المغفرة، وفى المائدة: قدم(**يُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ**)؟

جوابه: أن آية البقرة وغيرها جاءت ترغيبا في المسارعة إلى طلب المغفرة، وإشارة إلى سعة مغفرته ورحمته.

وآية المائدة جاءت عقب ذكر السارق والسارقة، فناسب ذكر العذاب، لأنه لهم في الدنيا والآخرة. ([4])

وقال الأنصاري: قدَّم المغفرة في هذه السورة وغيرها، إلا في" المائدة " فقدَّم العذاب، لأنها في المائدة نزلت في حقِّ السارق والسارقة، وعذابُهما يقع في الدنيا فقدَّم العذاب، وفي غيرها قُدّمت المغفرة رحمةً منه للعباد، وترغيباً لهم إلى المسارعة إلى موجباتها. ([5])، وبين أبو السعود أن سبب تقديم المغفرة على التعذيب لتقدّم رحمته على غضبه. ([6])

(١) سورة آل عمران من الآية (١٢٨).
(٢) سورة الفتح من الآية (١٠).
(٣) ملاك التأويل (٧٤/١، ٧٥).
(٤) كشف المعاني (١٢٣/١).
(٥) فتح الرحمن (٧٣/١، ٧٤).
(٦) تفسير أبي السعود (٢٧٣/١).

وقال الراغب الأصفهاني: وإنما قال" يعذب من يشاء" فقدم ذكر العقوبة على الغفران؛ لأن القصد بما تقدم الردع عن ارتكاب ما يقتضي عقوبة الدارين، فكان تقديم ما يقتضي ذلك أولى. (١)

وقال العلامة الألوسي في بيان وجه تقديم التعذيب على المغفرة: وكان الظاهر لحديث" سبقت رحمتي غضبي"(٢) تقديم المغفرة على التعذيب، وإنما عكس هنا؛ لأن التعذيب للمُصرّ على السرقة، والمغفرة للتائب منها، وقد قدمت السرقة في الآية أولا ثم ذكرت التوبة بعدها، فجاء هذا اللاحق على ترتيب السابق، أو لأن المراد بالتعذيب القطع، وبالمغفرة التجاوز عن حق الله تعالى، والأول في الدنيا، والثاني في الآخرة، فجيء به على ترتيب الوجود، أو لأن المقام مقام الوعيد، أو لأن المقصود وصفه تعالى بالقدرة، والقدرة في تعذيب من يشاء أظهر من القدرة في مغفرته لأنه لا إباء في المغفرة من المغفور، وفي التعذيب إباء بيِّنٌ. (٣)

وحمله ابن عادل الحنبلي على أنه من المقابلة بينه وبين ما سبق في الآيات السابقة حيث قال: وإنَّما قدم التعذيبَ على المغفرةِ، لأنَّهُ في مقابلةِ السرقةِ، والسرقةُ مقدمةٌ على التوبةِ. (٤)

فنلاحظ في توجيه الكاتبين في متشابه القرآن أن السبب في تقديم المغفرة على العذاب فيما قدمت فيه وتأخير العذاب أن هذا مناسب لما هو معروف من رحمة الله تعالى، وتقديم الترغيب على الترهيب، وفتح باب التوبة أمامهم، أما في سورة المائدة في الموضع الثاني فقدم العذاب على المغفرة لمناسبة السياق حيث سبقت بالحديث عن المحاربين والسرقة، فرتبت على ما سبقها من الكلام، كما أن مثل هذا المقام يناسبه الردع والزجر والترهيب، ولذا قدم التعذيب على المغفرة، وتبعهم في ذلك المفسرون بأن هذا هو المناسب للسياق.

---

(١) تفسير الراغب الأصفهاني (٣٥٠/٤).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه ك: التوحيد، باب: قول الله تعالى(بل هو قرآن مجيد في لوح محفوظ)ح ٧٥٥٣ من حديث أبي هريرة بلفظ:" لما قضى الله الخلق، كتب كتابا عنده: غلبت، أو قال سبقت رحمتي غضبي، فهو عنده فوق العرش". صحيح البخاري (١٦٠/٩) تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، الناشر: دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي)، الطبعة: الأولى ١٤٢٢هـ، وأخرجه مسلم ك: التوبة، بَابٌ فِي سِعَةِ رَحْمَةِ اللهِ تَعَالَى وَأَنَّهَا سَبَقَتْ غَضَبَهُ ح٢٧٥١. صحيح مسلم (٢١٠٨/٤) تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار إحياء التراث العربي ـــ بيروت.

(٣) روح المعاني (٣٠٤/٣).

(٤) اللباب في علوم الكتاب (٣٣٣/٧).

المبحث الثاني: الاختلاف بين الآيات المتشابهة باعتبار الإبدال

من التشابه اللفظي ما يكون عن طريق الإبدال سواء كان إبدال حرف بحرف آخر أو كلمة بأخرى، وقد ورد في سورة آل عمران من الآيات المتشابهة مع غيرها من السور باعتبار الإبدال ما يأتي:

المطلب الأول: إبدال حرف بحرف آخر:

المراد بالحرف هنا ليس واحد حروف المعجم، وإنما المراد ما كان من حروف المعاني، وقد ورد في سورة آل عمران من المتشابه اللفظي من هذا النوع ما يأتي:

١ـــ قوله تعالى(**قُلْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَالنَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ**)([1])

وقال في سورة البقرة (**قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ**)([2])

فنجد أنه عبر في سورة آل عمران بحرف "على"، وفي سورة البقرة بحرف" إلى"، وإذا نظرنا إلى كل من الحرفين وأصل وضعهما في اللغة وجدنا أن" إلى" تدل على انتهاء الغاية في الزمان، والمكان، وغيرهما، وهو أصل معانيها ([3])، وأما "على" فهي حرف جر، ولها معان منها الاستعلاء وهو الغالب.([4])، ولكن لماذا عبر الحق سبحانه في سورة البقرة بحرف " إلى"، وفي سورة آل عمران بحرف" على"؟

وقد وجهه الإسكافي بأن السياق يقتضي ذلك: حيث إن الخطاب في سورة آل عمران للنبي ﷺ بلفظ " قل"، وهذا يناسبه لفظ " على" التي تفيد الاستعلاء، فعدي الفعل " أنزل" بعلى؛ لأن القرآن منزل من علو إلى سفل، بخلاف الخطاب في سورة البقرة فإنه للمؤمنين ويناسبه تعدية الفعل"

---

(١) سورة آل عمران الآية (٨٤).

(٢) سورة البقرة الآية (١٣٦).

(٣) الجنى الداني في حروف المعاني (٣٨٥/١) لأبي محمد بدر الدين حسن بن قاسم بن عبد الله بن عليّ المرادي المصري المالكي (المتوفى ٧٤٩هـ)، تحقيق: د فخر الدين قباوة، والأستاذ محمد نديم فاضل، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت ـــ لبنان، الطبعة: الأولى١٤١٣هـ ـــ١٩٩٢م.

(٤) مغني اللبيب لابن هشام بتصرف (١٩٠/١) تحقيق: د. مازن المبارك، محمد علي حمد الله، الناشر: دار الفكر ـــ دمشق، الطبعة: السادسة ١٩٨٥م.

أنزل" بإلى التي تفيد انتهاء الغاية أي: انتهى غاية هذا الإنزال إلينا وهي في الجهات الست.

قال الإسكافي: للسائل أن يسأل عن موضعين من هاتين الآيتين: أحدهما: قوله عز وجل:" **أُنْزِلَ إِلَيْنَا**" في الأولى و"علينا" في الثانية، والموضع الثاني: تكرار " أوتي" في الأولى، وحذفها في الثانية.

فيقول: هل لاختيار" إلى" مع قوله " أنزل" في سورة البقرة فائدة توجب اختصاصها؟ وهل لاختيار "على" مع " أنزل" في سورة آل عمران معنى يقتضيها؟ ولم كرر" أوتي" هنا ولم يكرر هناك(١)؟

والجواب المختصر المشار به إلى الفرق بين الموضعين في " إلى" و"على": أن أول الآية التي اختصت بها "على"(**قُلْ آمَنَّا بِاللَّهِ**)، وأول الآية التي اختصت بها " إلى"(**قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ**)

وشرح ذلك: أن" على" موضوعة لكون الشيء فوق الشيء، ومجيئه من علو فهي مختصة من الجهات الست بجهة واحدة، و" إلى" للمنتهى، ويكون المنتهى من الجهات الست كلها، وإن توجه نحو الشيء شيءٌ عن يمينه أو عن شماله، أو من قُدامه، أو من ورائه، أو من فوقه، أو من تحته، فإنه إذا بلغه يقال فيه: انتهى إليه، فلا تتخصص" إلى" بجهة واحدة، كما تتخصص "على".

فقوله تعالى(**قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا**)اختيرت فيها " إلى" لأنها مُصدَّرة بخطاب المسلمين، فوجب أن يختار لها " إلى"، ثم جعل ما عطف عليه على لفظه لحق الإتباع، وإن صح فيه معنى الانتهاء، فالمؤمنون لم ينزل الوحي في الحقيقة عليهم من السماء، وإنما أنزل على الأنبياء صلوات الله عليهم وسلامه، ثم انتهى من عندهم إليهم، فلما كان (قولوا) خطابا لغير الأنبياء وكان لأممهم كان اختيار"إلى" أولى من اختيار" على".

ولما كانت في سورة آل عمران قد صدَّرت الآية بما هو خطاب للنبي ﷺ، وهو قوله:(**قُلْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا**)كانت "على" أحق بهذا المكان؛ لأن الوحي أنزل عليه.

وفي لفظة " أنزل" دلالة انفصال الشيء من فوق إلى أسفل وأن يقرن إليه ما يشاكله فيما يستحقه من المعنى أولى، وإن كان القرآن قد نطق بجميع ذلك في الأنبياء صلوات الله عليهم وفي غيرهم، كقوله عز وجل(**نَزَّلَ**

(١) سيأتي الحديث عن تكرار الفعل" أوتي" وإثباته في موضع دون الآخر في مبحث آخر.

عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ)(١)، وقال بعده **(هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ)**(٢)، وقال في موضع آخر **(وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ)**(٣) فالمنزل على الأنبياء منتهٍ إليهم، فلذلك صحت" إلى" إلا أن "على" أصلها: إذا قصد الإفصاح بالمعنى أن يستعمل فيمن نزل الوحي عليه، وشركة الأمة في اللفظة له مجاز لا حقيقة، و" إلى" في ذكر الإنزال المتعلق بأمم الأنبياء صلوات الله عليهم وسلامه أشبه بحقيقة معناها من "على"، فلذلك خصتا في الموضعين باللفظين المختلفين، وجعل ما بعدهما يجري مجراهما كما يجب في حكم الإتباع.(٤)

وبمثل هذا التوجيه وجهه الكرماني (٥)، ووجهه كذلك الغرناطي (٦)، وكذلك قال ابن جماعة (٧).

وقال الراغب الأصفهاني: وإنما قال هاهنا "عَلى" لأن ذلك لما كان خطاباً للنبي ﷺ وكان واصلًا إليه من الملأ الأعلى بلا واسطة بشرية، كان لفظ "على" المختص بالعلوّ أولى به، وهناك لما كان خطاباً للأمة، وقد وصل إليهم بوساطة النبي ﷺ كان لفظ " إلى" المختص بالإيصال أولى، ويجوز أن يقال: أُنزل عليه إنما يحُمل على ما أُمر المنزَّلُ عليه أن يبلّغ غيره، وأُنزل إليه على ما خُصّ به في نفسه، وإليه نهاية الإنزال، وعلى ذلك قال(**أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَى عَلَيْهِمْ)**(٨)، وقال **(وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ)**(٩) فخُصّ بإلى هاهنا لما كان مخصوصاً مخصوصاً بالذكر الذي هو بيانُ المنزل، وهذا كلام أي الأولى، لا في الوجوب.(١٠)

وبمثل هذا التوجيه وجهه ابن عجيبة في تفسيره (١١)، والنسفي (١٢).

---

(١) سورة آل عمران من الآية (٣).
(٢) سورة آل عمران من الآية (٧).
(٣) سورة المائدة من الآية (٤٠).
(٤) درة التنزيل (٢٩٨/١، ٣٠٤).
(٥) أسرار التكرار في القرآن (٧٩/١).
(٦) ملاك التأويل (٥٢/١، ٥٣).
(٧) كشف المعاني (١٠٧/١، ١٠٨).
(٨) سورة العنكبوت من الآية (٥١).
(٩) سورة النحل من الآية (٤٤).
(١٠) تفسير الراغب (٦٨٩/٢، ٦٩٠).
(١١) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد (٣٧٦/١)
(١٢) تفسير النسفي (٢٧١/١).

وأجاب ابن عرفة عن تخصيص آية آل عمران بلفظ" على" فقال: وأجاب ابن عرفة بجواب آخر: وهو أن النبي ﷺ لما كان خاطره إلى العالم العلوي أميل، إذ في السّماء الجنّة والعرش والكرسيّ والملائكة، ناسب تعدي الإنزال إليه ب "على" ليشعر بإتيانه من الجهة الشريفة المحبوبة، بخلاف هذه فإنّ فيها "قُولُوا" وهو خطاب له ولغيره. (١)

واعتبر الزمخشري أن التوجيه للتفرقة في الخطاب بين الرسول والمؤمنين في كل من الآيتين تعسف قال: فإن قلت: لم عدّى أُنزل في هذه الآية بحرف الاستعلاء، وفيما تقدم من مثلها بحرف الانتهاء؟ قلت: لوجود المعنيين جميعا؛ لأن الوحي ينزل من فوق وينتهي إلى الرسل، فجاء تارة بأحد المعنيين، وأخرى بالآخر، ومن قال: إنما قيل "عَلَيْنا" لقوله: " قُلْ" و" إلينا" لقوله " قولوا" تفرقة بين الرسل والمؤمنين، لأن الرسول يأتيه الوحي على طريق الاستعلاء، ويأتيهم على وجه الانتهاء، فقد تعسف، ألا ترى إلى قوله(**بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ**)(٢)،(**وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَاب**...)(٣) وإلى قوله(قوله(**آمِنُوا بِالَّذِي أُنْزِلَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا**)(٤).(٥)

وكذلك قال أبو السعود (٦) والإمام الرازي (٧). وحقق ذلك العلامة الألوسي بعد ما ذكر كلا القولين فقال: والتحقيق: أنه لا فرق بين المعدى ـــ بإلى ـــ والمعدى ـ بعلى ـــ إلا بالاعتبار، فإن اعتبرت مبدأه عديته ـــ بعلى ـــ لأنه فوقاني، وإن اعتبرت انتهاء إلى من هو له عديته بإلى، ويلاحظ أحد الاعتبارين تارة والآخر أخرى تفننا بالعبارة، وفرق الراغب بأن ما كان واصلا من الملأ الأعلى بلا واسطة كان لفظ" على" المختص بالعلو أولى به، وما لم يكن كذلك كان لفظ" إلى" المختص بالإيصال أولى به، وقيل: أنزل عليه يحمل على أمر المنزل عليه أن يبلغه غيره، وأنزل

(١) تفسير ابن عرفة (٤٣٠/١، ٤٣١) للإمام محمد بن محمد ابن عرفة الورغمي التونسي المالكي، أبو أبو عبد الله (المتوفى٨٠٣هـ)، تحقيق: د. حسن المناعي، الناشر: مركز البحوث بالكلية الزيتونية ـــ تونس، الطبعة: الأولى١٩٨٦م.

(٢) سورة البقرة من الآية (٤).

(٣) سورة المائدة من الآية (٤٨).

(٤) سورة آل عمران من الآية (٧٢).

(٥) الكشاف للزمخشري (٣٨١/١).

(٦) تفسير أبي السعود (٥٥/٢).

(٧) التفسير الكبير للإمام الرازي (٢٨٢/٨) الناشر: دار إحياء التراث العربي ـــ بيروت، الطبعة: الثالثة ١٤٢٠هـ.

إليه يحمل على ما خص به نفسه لأن إليه انتهاء الإنزال، وكلا القولين لا يخلو عن نظر([1])

كما رد ما زيفه الزمخشري ـــ من اعتبار أن التعدية بعلى خاصة بالرسل، والتعدية بإلى خاصة بالمؤمنين ـــ نظامُ الدين النيسابوري قائلا: والإنصاف أن هذا القائل لم يدع أن هذه المناسبة يجب اعتبارها في كل موضع وإنما ادعى اعتبارها في الموضعين فيصلح حجة للتخصيص والله أعلم([2]).

فنلاحظ أن تعليل الكاتبين في المتشابه اللفظي في القرآن يرجع إلى اختلاف الخطاب في الآيتين، وتبعهم في ذلك بعض المفسرين، واعتبر الزمخشري وأبو السعود والرازي ذلك تعسفا؛ لأنه قد ورد في خطاب النبيﷺ التعبير بإلى والتعبير بعلى، كما ورد في خطاب المؤمنين بلفظ "على".

٢ـــ ومن الآيات المتشابهة باعتبار إبدال حرف بآخر:

قَوْله تعالى(**مَتَاعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمِهَادُ**) ([3])عبر بحرف العطف " ثم" هَهُنَا، وَورد العطف بالواو فِي أربعة مواضع، وهي سورة التوبة في قوله تعالى(**يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ**)([4])، وفي قوله(**سَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ إِذَا انْقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لِتُعْرِضُوا عَنْهُمْ فَأَعْرِضُوا عَنْهُمْ إِنَّهُمْ رِجْسٌ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ**)([5])، وفي سورة الرعد في قوله تعالى(**لِلَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمُ الْحُسْنَى وَالَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُ لَوْ أَنَّ لَهُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَافْتَدَوْا بِهِ أُولَئِكَ لَهُمْ سُوءُ الْحِسَابِ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمِهَادُ**)([6])، وفي سورة التحريم في قوله تعالى(**يَاأَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ**)([7]) ولم يتعرض لها الإسكافي، ولا الغرناطي، ولا الأنصاري، وقد وجهها الكرماني بأن مَا قبلهَا فِي هَذِه السُّورَة(**لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي**

(١) روح المعاني (٢٠٦/٢).
(٢) غرائب القرآن ورغائب الفرقان (٢٠٢/٢).
(٣) سورة آل عمران الآية (١٩٧).
(٤) سورة التوبة الآية (٧٣).
(٥) سورة التوبة الآية (٩٥).
(٦) سورة الرعد الآية (١٨).
(٧) سورة التحريم الآية (٩).

الْبِلَادِ. مَتَاعٌ قَلِيلٌ)(١) أي ذَلِك مَتَاع فِي الدُّنْيَا قَلِيل، والقليل يدل على تراخ وَإِن صغر وَقل، وَثمّ للتراخي فَكَانَ طبقًا لَهُ. (٢)

وكذلك وجهها ابن جماعة بأن المتاع القليل في الدنيا، وجهنم في الآخرة فناسب العطف بثم، بخلاف الآيات الأخرى ــ وخاصة آية سورة الرعد ــ حيث إن السياق فيها يدل على أن المقصود ما في الآخرة فناسب العطف بالواو التي تفيد مطلق الجمع. (٣) والتعبير بحرف العطف " ثم" هنا في سورة آل عمران يرجع إلى معنى العطف بثمّ وهو إفادة الترتيب والتراخي، والتعبير بها يناسب السياق في آية آل عمران سواء أريد التراخي الزمني أو الرتبي بين متاع الدنيا القليل وبين ما في الآخرة من العذاب والاستقرار في جهنم.

أما الآيات الأخرى فقد قصد التشريك فيها في الحكم، ولذا ناسب التعبير فيها بالواو، وقد ذكروا في موقع الواو فيها عدة أقوال، قال أبو البقاء في آية التوبة الأولى: ثلاثة أوجه:

أحدها: أنها واو الحال، والتقدير: افعل ذلك في حال استحقاقهم جهنم وتلك الحال حال كفرهم ونفاقهم.

والثاني: أنها جيء بها تنبيها على إرادة فعل محذوف، أي: واعلم أن مأواهم جهنم.

والثالث: أن الكلام محمول على المعنى وهو أنه قد اجتمع لهم عذاب الدنيا بالجهاد والغلظة، وعذاب الآخرة بجعل جهنم مأواهم (٤). وكذلك بقية الآيات العطف فيها بالواو هو المناسب للسياق، ولم أقف على شيء للمفسرين في توجيه اختلاف العطف في كل من الآيات.

(١) سورة آل عمران من الآيتين (١٩٦، ١٩٧).
(٢) أسرار التكرار في القرآن (٩٤/١).
(٣) كشف المعاني بتصرف (١٣٦/١).
(٤) التبيان في إعراب القرآن لأبي البقاء العكبري (٦٥١/٢) تحقيق علي محمد البجاوي، الناشر: عيسى البابي الحلبي وشركاه.

المطلب الثاني: إبدال كلمة بأخرى:

من مواضع التشابه اللفظي باعتبار إبدال كلمة بكلمة أخرى ما يأتي:

١ــ قوله تعالى(**كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ**) (١)

وقال في سورة الأنفال (**كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ**) (٢)، وقال أيضا(**كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَكُلٌّ كَانُوا ظَالِمِينَ**) (٣) فنجد من أوجه الاختلاف بين آية آل عمران وآيتي سورة الأنفال عدة مسائل:

الأولى: أنه عبر في سورة آل عمران بالفعل" كذبوا" وعبر في الآية الأولى بلفظ" كفروا".

الثانية: كذلك أضاف الآيات في سورة آل عمران إلى الضمير" بآياتنا" وأضافها إلى الاسم الظاهر في الآية الأولى من الأنفال وهو اسم الجلالة، وفي الثانية إلى لفظ " ربهم".

الثالثة: التعبير بالاسم الظاهر في إهلاكهم بدلا من التعبير بالضمير فقال (**فأخذهم الله**)، ولم يقل: فأخذناهم.

الرابعة: قوله في ثانية الأنفال(**فأهلكناهم بذنوبهم**)، وفى الأخريين(**فأخذهم الله بذنوبهم**).

أما المسألة الأولى: وهي التعبير بالفعل" كذبوا" في آل عمران، وبالفعل" كفروا" في الآية الأولى من آيتي الأنفال فلم يتعرض لها الإسكافي، ولا الكرماني، ولا ابن جماعة، ووجهها الغرناطي: بأن آية آل عمران لما تقدم قبلها ذكر تنزيل الكتب الثلاثة والإشارة إلى ما تضمنته من الهدى والفرقان، وإنما أتى على من كفر بصده عنها وتكذيبه ناسب ذلك قوله تعالى:(**كذبوا بآياتنا**)، ولما لم يقع في سورة الأنفال من أولها إلى الآية الأولى من الآيتين ذكر شيء من الكتب المنزلة ولا ذكر إنزالها، وإنما تضمنت حال المسلمين مع معاصريهم من كفار العرب ومعظم ذلك في قتالهم وحربهم، ناسب ذلك التعبير بالكفر فقال تعالى(**كفروا بآيات الله**)، ثم لما تلتها الآية الأخرى من غير طول بينهما وقع التعبير فيها بالتكذيب فقال(**كذبوا بآيات ربهم**)، وعدل عن لفظ" كفروا" لثقل التكرار مع القرب

(١) سورة آل عمران الآية (١١).
(٢) سورة الأنفال الآية (٥٢).
(٣) سورة الأنفال الآية (٥٤).

وليحصل وسمهم بالكفر والتكذيب([1])، ووجهها الأنصاري بأن هذا للتفنن في الكلام ([2])

ويمكن أن يقال إن آية آل عمران جاءت للبيان لآية الأنفال، وأن كفرهم كان عن طريق التكذيب.

وأما المسألة الثانية وهي أنه أضاف الآيات في سورة آل عمران إلى الضمير" بآياتنا"، وأضافها إلى الاسم الظاهر في الآية الأولى من الأنفال وهو اسم الجلالة، وفي الثانية إلى لفظ " ربهم".

فقد وجهها الإسكافي بأنه لما أخبر تعالى عن نعمته على عباده، وأن منهم من يغيرها بعصيانه فيستحق بذلك تغيير النعمة عنه، وهو معنى قوله(**ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَى قَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ**)([3])، والمنعم على عباده ربهم، لأنهم مربوبون بنعمته، كان القصد في هذه الآية إلى ذكر تنعيمهم في الدنيا، وتتغير النعمة عليهم فيها إذ لم يقوموا بحقها بعقاب من عقاب الدنيا مثله ما يفعله بعض الناس ببعض، فلذلك قال(**فَأَهْلَكْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ)**، فكأنه قال: كذبوا بآيات مَن أقام في أنفسهم شواهد بتربيته إياهم بصنوف نعمته، ونقل الوليد عن أولى حالتيه إلى غيرها مما يبلغ به غاية قوته([4]).

وقال الغرناطي: إن الآية الأولى من سورة الأنفال إنما جيء فيها بالاسم الظاهر فقيل(**كفروا بآيات الله)**، لتقدم ذكر الملائكة في قوله **(وَلَوْ تَرَى إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ)**([5]) بنسبة الفعل للملائكة، وتقدم أيضا(**وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ**)([6])، ولم يتقدم في آل عمران ذكر فعل لغير الله تعالى، ولا نسبة شيء لسواه، فجئ بآيات مضافة إلى ضميره تعالى فقال(**كذبوا بآياتنا)**على طريقة الالتفات، وجاء في الأنفال **(كذبوا بآيات الله)** بالإضافة إلى الاسم الظاهر ليعلم أن الأمر له عز وجل وأنه مريهم الآيات، ولا فعل إلا له، وأن الملائكة مسخرون بأمره وفعلهم من خلقه، وتزيين الشيطان لهؤلاء الكفار إنما هو بقدر الله وسابق مشيئته، وكل ذلك خلقه وملكه، والآيات آياته وله المثل الأعلى، وقيل في الثانية **(بآيات ربهم)** ليجري مع ما تقدمه متصلا به من قوله

(١) ملاك التأويل (٧٨/١).
(٢) فتح الرحمن للأنصاري (٨٠/١).
(٣) سورة الأنفال من الآية (٥٣).
(٤) درة التنزيل للإسكافي (٣٦٥/١، ٣٦٦).
(٥) سورة الأنفال من الآية (٥٠).
(٦) سورة الأنفال من الآية (٤٨).

تعالى(**ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَى قَوْمٍ)** فذكر ابتداءه بالنعم، فناسبه ذكر ملكيته سبحانه لهم بقوله **(بآيات ربهم)**فهو المحسن والمالك، ثم جرى القدر بما سبق لهم، فإيراد قوله **(كذبوا بآيات ربهم)** مع ما تقدم أوقع في نفوسهم، وأشد في تحسرهم وندامتهم إذا شاهدوا الأمر فعلموا أنه مالكهم، وأنه ابتدأهم بالنعم فغيروا، فحصل من ذلك أنهم قابلوا نعم ربهم بالكفر مع بيان الأمر ووضوحه، ولو قيل: بآيات الله لما أحرز هذا المعنى المعرف بملكيته لهم والمشير لندامتهم وتحسرهم، ولا خفاء بالفرق بين قول القائل لمن كفر بنعمة الله: إنما كفرت بنعمة مالكك المحسن إليك ومبتديك بالنعم، وبين أن لو قيل له: إنما كفرت بنعمة الله فتأمل ما بينهما، ولهذا ابتدئ دعاء الخلق في سورة البقرة إلى الإيمان بقوله(**يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ** ...)([1]) إلى آخر الآية.([2])

وقال أبو السعود: والالتفاتُ إلى التكلم أولاً للجَري على سَنَنِ الكبرياء.([3]) يعني التفت إلى التكلم في قوله" بآياتنا". وقال في سر إضافة الآيات إلى الرب: وإضافة الآياتِ إلى الرب المضافِ إلى ضميرهم لزيادة تقبيح ما فعلوا بها من التكذيب. ([4])

وأما المسألة الثالثة: وهي التعبير بالاسم الظاهر في إهلاكهم بدلا من التعبير بالضمير فقال" فأخذهم الله" ولم يقل: فأخذناهم.

فقد وجهها الإسكافي بمناسبة السياق وبناءها على الآية السابقة عليها فعدل عن التعبير بالضمير إلى الاسم الظاهر فقال" فأخذهم الله" ولم يقل: فأخذناهم، كما قال:"بآياتنا"

قال الإسكافي بعد أن ذكر عدة تساؤلات في الآية:

أما المسألة الأولى: في قوله **(كذبوا بآياتنا)**، فوقع الإخبار عن النفس كما يجب في مثله إذا أخبر المتكلم عن نفسه بفعل، فأتى بلفظ المضمر دون المظهر، ثم خالف ذلك اللفظ إلى غيره فقال(**فأخذهم الله)**، فالجواب عن هذا أن يقال: العدول عن النهج الأول المستمر في الإخبار عن النفس إلى لفظ ظاهر هو لفائدة تتضمنها هذه اللفظة من الاحتجاج، وليست هذه الفائدة في لفظة الإضمار، وكانت الآية التي قبلها قد وقع فيها مثل هذا العدول إلى هذا اللفظة للاحتجاج الذي من أجله وقع العدول في هذا المكان إليه، وهو

(١) سورة البقرة من الآية (٢١).
(٢) ملاك التأويل (٧٨، ٧٩).
(٣) تفسير أبي السعود (١١/٢).
(٤) تفسير أبي السعود (٢٩/٤).

قوله تعالى(**رَبَّنَا إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ لِيَوْمٍ لَا رَيْبَ فِيهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ**)(١)، فقوله" **ربنا**" يقتضي أن يكون بعده: إنك لا تخلف الميعاد، كما قال(**رَبَّنَا وَآتِنَا مَا وَعَدْتَنَا عَلَى رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ**)(٢)، فلما قال تعالى في هذا الموضع(**ربَّنَا إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ لِيَوْمٍ لَا رَيْبَ فِيهِ**) فكان المعنى: إنك خلقت الدار الأولى للتكليف، ومكنت العباد فيها من الطاعة والعصيان، ورغبت المطيع في الثواب، وخوفت العاصي من العقاب، فوقع منك وعد ووعيد، فأنت تجمع الخلائق ليوم الجزاء؛ لأن من خلق وأنعم نعمة حقت بها العبادة، ولزمت من أجلها الطاعة، وهذا معنى قولنا: إن الله إذا وعد صدق، فلا خلف في قوله، ولا تبديل لكلامه.

فلما كان معنى قولنا" الله " بمعنى " الإله"، والإله مشتق من أله يأله إلاهة، أي: عبد يعبد عبادة، فالإله هو الذي حقت عبادته لما عظمت نعمته كان العدول إلى هذه اللفظة للاحتجاج بمعناها فائدة لم تكن لتحصل لو قال: إنك لا تخلف الميعاد.

فلما تقدمت هذه الآية التي وقع العدول فيها عن لفظة إلى لفظة لما قصد من الاحتجاج بمعناه، كذلك بنيت هذه الآية التي تلتها عليها في مثل هذا الحكم لما ثبت من مثل هذا المعنى، فقال تعالى(**كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا**) فأتى بضمير الفاعل، وكان يعقل من قوله(**كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا**) أنا عرضناهم للإيمان، ومكناهم من الإسلام، وأزحنا العلة، ونصبنا الأدلة، فكذبوا بها، فالذي حقت له العبادة، وعظمت منه النعمة أخذهم بذنوبهم، والله تعالى يعاقب الكفار عقوبة تشد عليهم، ولا تخفف عنهم، لما قدموا من العصيان ما استمر مثله، ولم ينقل عنه قدم، ولا عقبه بعد الإصرار عليه ندم، فهذه فائدة العدول إلى لفظة الله في قوله: " فأخذهم الله" دون قوله: فأخذناهم (٣).

وكذلك وجهها الكرماني بأن الآية مبنية على الآية السابقة عليها من الالتفات من التكلم إلى الغيبة (٤).

وكذلك وجهها ابن جماعة: بأن كل آية بنيت على سابقتها، فبين ما في آية آل عمران من بنائها على الآية السابقة عليها كما سبق نقله عن الإسكافي،

(١) سورة آل عمران الآية (٩).
(٢) سورة آل عمران الآية (١٩٤).
(٣) درة التنزيل (٣٥٨/١، ٣٦١).
(٤) أسرار التكرار في القرآن (٨٨/١).

ثم بين أن كل آية من آيتي الأنفال بنيت على الكلام السابق عليها ، فآية الأنفال الأولى: لتناسب ما تقدمها من إبراز الظاهر في قوله(**وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ**)(١)، (**وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ**)(٢) فقال(**كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ...**) الآية.

وأما الثانية: فجاءت بعد قوله تعالى(**لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَى قَوْمٍ**...) الآية.(٣) أي: كذبوا بآيات من ربهم بنعمه عليهم التي لا تحصى، فلما ذكر نعمه التي ربّوا بها ناسب قوله:﴿**بِآيَاتِ رَبِّهِمْ**﴾المنعم عليهم.(٤)، ولم يتعرض لبيان هذا الوجه من التشابه الأنصاري.

وقال أبو السعود: والالتفاتُ إلى التكلم أولاً للجَري على سَنَنِ الكبرياءِ وإلى الغَيبة ثانياً [يعني في قوله " فأخذهم الله" ولم يقل: فأخذناهم على نسق الكلام السابق] بإظهار الجلالة لتربية المهابةِ وإدخالِ الروعة.(٥)

وأما المسألة الرابعة وهي التعبير عن إهلاكهم بالأخذ في سورة آل عمران، والآية الأولى من آيتي الأنفال، والتعبير بالإهلاك في الآية الثانية من الأنفال فقد وجهها الغرناطي بأنه قصد في الآية الثانية من الأنفال تفصيل عقابهم بإغراق آل فرعون وأخذ من عداهم بغير ذلك وقال(**فأهلكناهم بذنوبهم**)ليخالف قوله تعالى في الآية قبل:(**فأخذهم الله بذنوبهم**)لاستثقال لفظ التكرار فيما تقارب، ولما قصد من التفصيل، وقد ضم الفريقين من المهلكين بذنوبهم والمغرقين في قوله:(**وكل كانوا ظالمين**)(٦).

وقد ذكر بعض المفسرين في المقارنة بين هذه الآيات الثلاث وجوها يسيرة من التشابه بينها (٧) ومما ذكره الإمام الرازي عند تفسيره لآيتي سورة الأنفال من أوجه التشابه قال رحمه الله:

الْمَسْأَلَةُ الثَّالِثَةُ: أَنَّهُ تَعَالَى ذَكَرَ مَرَّةً أُخْرَى قَوْلَهُ تَعَالَى(**كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ**) ذَكَرُوا فِيهِ وُجُوهًا كَثِيرَةً:

---

(١) سورة الأنفال من الآية (٤٩).
(٢) سورة الأنفال من الآية (٥١).
(٣) سورة الأنفال من الآية (٥٣).
(٤) كشف المعاني (١٢٥/١، ١٢٦).
(٥) تفسير أبي السعود (١١/٢)
(٦) ملاك التأويل (٧٩/١).
(٧) ينظر تفسير البيضاوي (٦٤/٣) تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، الناشر: دار إحياء التراث العربي ـــ بيروت، الطبعة: الأولى ١٤١٨هـ. تفسير النسفي (٦٥٢/١) حققه وخرج أحاديثه: يوسف علي بديوي، راجعه وقدم له: محيي الدين ديب مستو، الناشر: دار الكلم الطيب، بيروت، الطبعة: الأولى ١٤١٩هـ ـــ ١٩٩٨م.

الْأَوَّلُ: أَنَّ الْكَلَامَ الثَّانِيَ يَجْرِي مَجْرَى التَّفْصِيلِ لِلْكَلَامِ الْأَوَّلِ، لِأَنَّ الْكَلَامَ الْأَوَّلَ فِيهِ ذِكْرُ أَخْذِهِمْ، وَفِي الثَّانِي ذِكْرُ إِعْرَاقِهِمْ وَذَلِكَ تَفْصِيلٌ.
وَالثَّانِي: أَنَّهُ أُرِيدَ بِالْأَوَّلِ مَا نَزَلَ بِهِمْ مِنَ الْعُقُوبَةِ فِي حَالِ الْمَوْتِ، وَبِالثَّانِي مَا يَنْزِلُ بِهِمْ فِي الْقَبْرِ فِي الْآخِرَةِ.
الثَّالِثُ: أَنَّ الْكَلَامَ الْأَوَّلَ هُوَ قَوْلُهُ:**(كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ)** وَالْكَلَامَ الثَّانِيَ هُوَ قَوْلُهُ:**(كَذَّبُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ)** فَالْأَوَّلُ إِشَارَةٌ إِلَى أَنَّهُمْ أَنْكَرُوا الدَّلَائِلَ الْإِلَهِيَّةَ، وَالثَّانِي إِشَارَةٌ إِلَى أَنَّهُ سُبْحَانَهُ رَبَّاهُمْ وَأَنْعَمَ عَلَيْهِمْ بِالْوُجُوهِ الْكَثِيرَةِ، فَأَنْكَرُوا دَلَائِلَ التَّرْبِيَةِ وَالْإِحْسَانِ مَعَ كَثْرَتِهَا وَتَوَالِيهَا عَلَيْهِمْ، فَكَانَ الْأَثَرُ اللَّازِمُ مِنَ الْأَوَّلِ هُوَ الْأَخْذُ، وَالْأَثَرُ اللَّازِمُ مِنَ الثَّانِي هُوَ الْإِهْلَاكُ وَالْإِغْرَاقُ، وَذَلِكَ يَدُلُّ عَلَى أَنَّ لِكُفْرَانِ النِّعْمَةِ أَثَرًا عَظِيمًا فِي حُصُولِ الْهَلَاكِ وَالْبَوَارِ(١)
ونلاحظ من خلال النظر إلى الآيات أنه قد أبدل فيها كلمة بأخرى وذلك مراعاة للسياق الذي وردت فيه كل منها مما يدل على بلاغة القرآن في اختيار اللفظة القرآنية بما يناسب سياقها وسباقها ولحاقها مع اتفاق القصة لكنها البلاغة القرآنية التي لا يجاريها أحد.
٢ـــ قوله تعالى(**قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً قَالَ آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْزًا وَاذْكُرْ رَبَّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ**)(٢)، وقال في سورة مريم(**قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً قَالَ آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَ لَيَالٍ سَوِيًّا**)(٣)
فنجد أنه عبر في سورة آل عمران بالأيام، وفي سورة مريم بالليالي، ولم يتعرض لتوجيهها الإسكافي، ولا الكرماني، ووجهها الغرناطي والأنصاري بأن كلا منهما مقيد للآخر، وجمع بينهما ليفيد الأيام بلياليها.
قال الغرناطي: قوله تعالى(**قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً**) يريد ــ والله أعلم ــ آية على الحمل ليستعجل البشارة فقيل له(**آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْزًا**)، وفى سورة مريم(**آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَ لَيَالٍ سَوِيًّا**) مع اتحاد القصة فيسأل عن ذلك.
والجواب ــ والله أعلم ــ: أنه لما كان الإخبار مقصودا به التعريف بمنعه الكلام ثلاثة أيام بلياليهن منصوصا على ذلك حتى لا يقع احتمال أن يكون المنع في الليالي دون الأيام، أو الأيام دون الليالي، وهذا كما في قوله تعالى(**سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا**)(٤) فوقع التنصيص

(١) التفسير الكبير (٤٩٦/١٥).
(٢) سورة آل عمران الآية (٤١).
(٣) سورة مريم الآية (١٠).
(٤) سورة الحاقة من الآية (٧).

التنصيص على الوقتين ليرتفع توهم إفراد أحد الوقتين دون الآخر، وكذا في آية آل عمران بذكر الأيام ليناسب قوله "إلا رمزا " إذ الرمز ما يفهم المقصود دون نطق كالإشارة بالعين وباليد، وقال مجاهد: بالشفتين، وكيفما كان فإنما يدرك بالعين، ولما لم يذكر الرمز في آية مريم ذكر فيها الليل.

وحصل التعريف باستيفاء الوقت الممنوع فيه الكلام وما جعل له عوضا منه وهو الرمز، وزيد في آية مريم التعريف باستواء الليالي في ذلك فالمراد مستويات،" فسويا" من صفة ليال انتصب على الحال، أو يكون المراد: لا خرس بك ولا مرض، فيكون **" سويا"** حالا من الضمير في " تُكلِم"، فورد هنا"سويا" مناسبا للفواصل ومقاطع الآى، وليس في آية آل عمران ما يستدعى ذلك، فورد كلٌ على ما يجب ويناسب، والله أعلم. (١)

وكذلك وجهه الأنصاري بأن كلا منهما مقيد للآخر فلا بد من الجمع بينهما. (٢)

واعتبر الراغب الأصفهاني أن إطلاق الأيام في سورة آل عمران دليل على إرادة الليالي، وأن في ذكر أحدهما غنى عن ذكر الآخر. (٣) وكأنه يريد أن يقول: إنهما مثل الإيمان والإسلام إذا اجتمعا افترقا وإذا افترقا اجتمعا، فإذا ذكر أحدهما دل على إرادة الآخر معه.

واعتبر الزمخشري أن كلا منهما مكمل للآخر، وأنه ذكر في سورة مريم الليالي ليفيد أن آية زكريا عليه السلام عدم كلام الناس ثلاثة أيام بلياليهن. (٤)، وكذلك وجهه الرازي (٥)، والبيضاوي (٦)، والنسفي (٧)، وغيرهم. (٨)

(٨)

وقال العلامة الألوسي: وقال بعضهم: والمراد ثلاثة أيام ولياليها، وقيل: الكلام على حذف مضاف أي: ليالي ثلاثة أيام؛ لقوله سبحانه في سورة مريم:**(ثَلاثَ لَيالٍ)**.

والحق: أن الآية كانت عدم التكليم ستة أفراد إلا أنه اقتصر تارة على ذكر ثَلاثَة أيَّامٍ منها، وأخرى على " ثلاث ليال"، وجعل ما لم يذكر في كلٍ تبعا

(١) ملاك التأويل (٨٢/١)
(٢) فتح الرحمن (٨٧/١).
(٣) تفسير الراغب الأصفهاني (٥٤٩/٢)
(٤) ينظر الكشاف (٧/٣).
(٥) التفسير الكبير(٢١٥/٨).
(٦) تفسير البيضاوي (٦/٤).
(٧) تفسير النسفي (٣٢٨/٢).
(٨) ينظر البحر المحيط (٢٤٤/٧).

لما ذكر، قيل: وإنما قدم التعبير بالأيام لأن يوم كل ليلة قبلها في حساب الناس يومئذ، وكونه بعدها إنما هو عند العرب خاصة كما تقدمت الإشارة إليه، واعترض بأن ــ آية الليالي ــ متقدمة نزولا؛ لأن السورة التي هي فيها مكية، والسورة التي فيها ــ آية الأيام ــ مدنية، وعليه يكون أول ظهور هذه الآية ليلا ويكون اليوم تبعا لليلة التي قبلها على ما يقتضيه حساب العرب فتدبر.(١)

وهي فائدة عظيمة في التعبير بالأيام في سورة آل عمران، وبالليالي في سورة مريم لكون سورة مريم مكية وهي متقدمة على سورة آل عمران، وكذلك الليالي متقدمة على الأيام لأن شهورهم وسنيهم قمرية إنما تعرف بالأهلّة ولذلك اعتبروها في التاريخ كما ذكره النحاة فأعطى السابق للسابق. (٢)

فها أنت ذا ترى تأثر المفسرين في تعليلهم لما ورد في الآيتين بما كتبه علماء المتشابه اللفظي فيهما مع إضافة فوائد لطيفة كما ذكر العلامة الألوسي من اختصاص كل سورة بما ورد فيها من حيث المكي والمدني ومما يجعل دليلا على مكية إحداهما ومدنية الأخرى.

٣ــ قوله تعالى(**قَالَتْ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ قَالَ كَذَلِكِ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ**)(٣)، وقال في سورة مريم(**قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا**)(٤)

فنجد أنه عبر في سورة آل عمران بلفظ " ولد"، وفي سورة مريم بلفظ " غلام"، ولم يتعرض للحديث عنها الإسكافي، ولا الغرناطي، وقد وجه الكرماني ذلك بأنه تقدم في سورة آل عمران ذكر المسيح وهو ولدها فناسب ذكر الولد، وتقدم في سورة مريم ذكر الغلام فناسب ذكره. (٥)، وتبعه في هذا التوجيه الفيروزآبادي(٦)، وكذلك وجهه ابن جماعة (٧)، والأنصاري (٨).

ولم أقف على شيء للمفسرين في هاتين الآيتين وسر التعبير في كل منهما، بل ذكر الدكتور مصطفى مسلم وهو يتحدث في كتابه " مباحث في

(١) روح المعاني (١٤٥/٢).
(٢) روح المعاني (٣٩٠/٨).
(٣) سورة آل عمران الآية(٤٧).
(٤) سورة مريم الآية (٢٠).
(٥) أسرار التكرار في القرآن للكرماني(٨٩/١).
(٦) بصائر ذوي التمييز (١٦٢/١).
(٧) كشف المعاني (١٢٨/١).
(٨) فتح الرحمن (٨٧/١).

إعجاز القرآن" كلاما جيدا علل به سر اختيار التعبير بلفظ " ولد" في سورة آل عمران، ولفظ " غلام" في سورة مريم حيث قال: وأحيانا يكون الاختيار للكلمة في مكان دون أماكن ويستبدل به غيرها لسرٍّ لطيفٍ بالرغم من كون الموضوع واحدا، لكن الكلمة المختارة تعطي مدلولا خاصا لا يوفّيه حقّه إلا استعمال الكلمة القرآنية المختارة.

فمثلا: جاءت الملائكة بالبشرى لزكريا عليه السلام بيحيى، وأيضا جاءت بالبشرى للسيدة مريم العذراء بالمسيح عليه السلام، لكن وضع المبشّرين مختلف، وتلقّي الخبر منهما يكون له رد فعل يغاير ما في نفس الآخر، واستغراب كلّ منهما يكون لجانب أشد التصاقا بحاله ووضعه، قال زكريا عليه السلام عند ما جاءته البشرى(**قَالَ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَقَدْ بَلَغَنِيَ الْكِبَرُ وَامْرَأَتِي عَاقِرٌ**)، وقالت مريم عليها السلام عند ما جاءتها البشرى(**قَالَتْ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ**)، ورد في كلام زكريا عليه السلام لفظ(الغلام) وهو الموافق والمطابق لحاله لأنه رجل متزوج ومن شأن المتزوجين كما هي العادة أن يولد لهم، ولكن الغريب في الأمر والمعجزة أن يولد له في هذه السن المتأخرة من حياته وامرأته عاقر، فكانت الكلمة التي تؤدي الغرض ووجه الاستغراب هي كلمة (غلام).

أما مريم عليها السلام فالتعجب في جانب آخر إذ إنها عذراء ولم يمسسها بشر ولم تك بغيّا، فالغرابة والمعجزة أن تلد وهي عذراء فكانت الكلمة المعبرة التي تؤدي المعنى بدقة وتوضح وجه الاستغراب لها هي كلمة (ولد). فسبحان الذي أحاط علمه بسر اللغة ومكنوناتها ألا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ(١).

وعلق في الهامش على كلامه فقال: أما مجيء لفظة غلام في كلام السيدة مريم عليها السلام في قوله تعالى(**قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَاماً زَكِيًّا. قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا**)(٢)، فهو من قبيل ترداد اللفظة التي سمعتها من المخاطب، فشدة الاستغراب والدهشة تجعل السامع يردد نفس الكلمة التي سمعها كما في جواب القائل: **قالوا صف شيئا نجد لك طبخه قلت اطبخوا لي جبة وقميصا** (٣)،

---

(١) مباحث في إعجاز القرآن للدكتور مصطفى مسلم (١٣٩/١، ١٤٠) الناشر: دار القلم ـــ دمشق، الطبعة: الثالثة، ١٤٢٦هـ ـــ ٢٠٠٥م.

(٢) سورة مريم الآيتان (١٩، ٢٠).

(٣) البيت لجحظة البرمكي، وورد بلفظ: قالوا اقترح شيئا نجد لك طبخه، وفيه من البلاغة المشاكلة: وهي ذكر الشيء بلفظ غيره لوقوعه في صحبته فلما قالوا له نطبخ لك ذكر بلفظ الطبخ والأصل خيطوا لي جبة وقميصا. ينظر مفتاح العلوم للسكاكي(٤٢٤/١) نشر: دار الكتب العلمية، بيروت ـــ لبنان، ط ثانية ١٤٠٧هـ ـــ ١٩٨٧م.

فلما رأت مريم عليها السلام الملك في صورة البشر ودخل عليها وهي عارية للاغتسال في حجاب وعزلة عن الناس فتعوذت منه لأن ذلك ليس من شأن الأتقياء، فلما أخبرها بالغلام ازداد استغرابها فرددت الكلمة المسموعة أَنَّى يَكُونُ لِي غُلامٌ، بخلاف ما ورد في سورة آل عمران فلم يسبق استغرابها ذكر كلمة الغلام فانصب الاستغراب على الولادة وهي عذراء. ([1])

٤ـ **قوله تعالى(وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَأُحْيِ الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ)**([2])، وقال في سورة المائدة(**وَتُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ بِإِذْنِي وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتَى بِإِذْنِي)**([3]) فعبر في سورة آل عمران "بإذن الله"، وفي سورة المائدة قال" بإذني"، فأبدل بلفظ الجلالة الضمير، وواضح من سياق الكلام في سورة آل عمران أن الكلام من كلام عيسىعليه السلام ولذلك أضاف التخليق إلى الله، وما في سورة المائدة من كلام الله لعيسىعليه السلام فأضاف الكلام إلى ذاته، ولم يتعرض لتوجيهها الإسكافي، ولا الغرناطي، ولا ابن جماعة، ولا الأنصاري.

وقال الكرماني: لأن ما في هذه السورة كلام عيسى فما يتصور أن يكون من فعل البشر أضافه إلى نفسه وهو الخلق الذي معناه: التقدير والنفخ الذي هو إخراج الريح من الفم، وما يتصور إضافته إلى الله تعالى أضافه إليه وهو قوله(**فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ)، (وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ)**بما يكون في طوق البشر؛ فإن الأكمه عند بعض المفسرين: الأعمش، وعند بعضهم: الأعشى، وعند بعضهم: الذي يولد أعمى([4])، وإحياء الموتى من فعل الله فأضافه إليه، وما في المائدة من كلام الله سبحانه وتعالى فأضاف جميع ذلك إلى صنعه إظهارا لعجز البشر، ولأن فعل العبد مخلوق لله تعالى.([5])، ولم يتعرض المفسرون للمقارنة بين الموضعين لما أنه واضح من السياق صدور الكلام على لسان عيسىعليه السلام في سورة آل عمران، وكونه خطابا له في سورة المائدة.

---

(١) مباحث في إعجاز القرآن(١٤٠/١).
(٢) سورة آل عمران من الآية (٤٩).
(٣) سورة المائدة من الآية (١١٠).
(٤) ينظر جامع البيان للطبري (٤٢٨/٦فما بعدها) تحقيق: أحمد محمد شاكر، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى١٤٢٠هـ ـ ٢٠٠٠م.
(٥) أسرار التكرار في القرآن (٩٠/١، ٩١).

كما يلاحظ في هذه الآية أنه كرر لفظ " بإذن الله" في آل عمران مرتين، وذكر لفظ " بإذني " في سورة المائدة أربع مرات؛ وذلك لأنه في سورة المائدة في مقام تعداد نعم الله على عيسى عليه السلام ورد ما ادعته النصارى فيه من التأليه فاحتاج المقام إلى الإطناب، بخلاف ما ورد في سورة آل عمران فإنه مقام البشارة لمريم. (١)، وكذلك قال البيضاوي: كرر **" بإذن الله"** دفعاً لتوهم الألوهية، فإن الإحياء ليس من جنس الأفعال البشرية.(٢)

٥ــ من الآيات المتشابهة باعتبار إبدال لفظ بآخر قوله تعالى**(وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ)**(٣)، وقال في سورة الحديد **(سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ)**(٤) فنجد أنه تعالى عبر في آية آل عمران بلفظ " وسارعوا"، وفي آية سورة الحديد بلفظ" سابقوا" ولم يتعرض الإسكافي، ولا الكرماني، ولا ابن جماعة، ولا الأنصاري لتوجيه التشابه بينهما، وإنما تعرض لها الغرناطي فقال بعد أن ذكر الآيتين: والمراد في الموضعين الحث على المبادرة إلى أفعال البر وجزيل الثواب للممتثل، وقد اختلفت عبارة الأمر بذلك في الموضعين، فحذف المضاف في الأولى، وجيء في الثانية بكاف التشبيه عوضا منه، وقيل في الأولى**(عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ)** على الجمع، وأفرد في الثانية فقيل**(عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ)** ففيها ثلاثة أسئلة.

والجواب عن الأول ــ والله أعلم ــ: أن المسارعة إلى الشيء قبل مسابقته قال تعالى**(أُولَئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ)**(٥)، وإذا ثبت ثبت هذا فوجه تقديم لفظ "سارعوا " تقديم المسارعة، ووجه تأخير " سابقوا" بناء المسابقة على المسارعة، ألا ترى أن المسارع إلى الشيء قد يحصل له ما سارع إليه، وقد لا يحصل، ولا يقال في الغالب: سبق إلا فيمن تحصل له مطلوبه هذا هو الأكثر، والمسارعة متقدمة في الرتبة قال تعالى**(أُولَئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ)** وقوله تعالى**(إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَى أُولَئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ)**(٦)أي: ثبتت وحقت

(١) ملاك التأويل بتصرف (٨٤/١، ٨٥).
(٢) تفسير البيضاوي (١٨/٢).
(٣) سورة آل عمران الآية (١٣٣).
(٤) سورة الحديد الآية (٢١).
(٥) سورة المؤمنون الآية (٦١).
(٦) سورة الأنبياء الآية (١٠١).

لهم، فلما كانت المسارعة والمسابقة على ما ذكرنا، ورد المتقدم في الترتيب أولا والمتأخر ثانيا مراعاة للترتيب.

والجواب عن الثاني: أن آية آل عمران على حذف المضاف كما تقدم أي: عرضها مثل عرض السماوات والأرض، وقد أفصحت آية الحديد بما يقوم مقام هذا المضاف ويحصل معناه وهو كاف التشبيه؛ إذ معناها معنى "مثل"، وحذف المضاف مما يكون كثيرا عند قصد المبالغة، وكذا جعل الشيء نفس الشيء وهو مما يتقدم في آية آل عمران...، ولما اتصل بقوله **(عَرْضُهَا)** في آية آل عمران وهو مبتدأ، والخبر عنه مجموع فقيل **(السَّمَاوَاتُ)** فأفصح الجمع ما مهدناه من قصد المبالغة والتعظيم، ثم أتبع ذلك ما يحرز مقصود ذلك من التعظيم والمبالغة أيضا، وهو وصف من أعدت له الجنة الموصوفة، ووسمهم بالمتقين وهم الذين وفوا بالإيمان وتوابعه التي بها يكمل، مما ذكر في آية **(لَيْسَ الْبِرَّ)** من لدن قوله تعالى**(وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ** إلى قوله **(أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ)**(١).

ولم يكن قوله تعالى:**(عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ)** بالجمع كقوله في آية الحديد **(كَعَرْضِ السَّمَاءِ)** فأفرد، ولا قوله **(أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ)** كقوله في آية الحديد **(أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ)** فلما تضمنت آية آل عمران من قصد المبالغة من هذه الجهات والقرائن التي ذكرنا ما لم تتضمن آية الحديد ناسب ذلك جعل العرض نفس السماوات والأرض من غير إفصاح بالمضاف المقدر الذي لابد منه عند بيان المعنى على ما تقدم ولما لم يقصد في آية الحديد ذلك أفصح فيها بما يعطى معنى مثل وهي كاف التشبيه وورد كل على ما يناسب ويلائم.

فإن قيل: لم خصت آية آل عمران بما تمهد من قصد المبالغة والتعظيم دون آية الحديد؟ قلت: لبنائها على الحض على الجهاد وعظيم فضله وذكر قصة بدر وأحد من لدن قوله **(وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ مَقَاعِدَ لِلْقِتَالِ)**(٢) إلى ما بعد الآية المتكلم فيها، ولما يكن في آية الحديد شيء من ذلك ناسب كلا ما ورد فيه، ، والله أعلم. (٣)

واعتبر بعض المفسرين أن آية الحديد بيان لآية آل عمران، قال الرازي في تفسير آية الحديد: وَاعْلَمْ أنه تعالى أمر بالمسارعة في قوله:

---

(١) سورة البقرة من الآية (١٧٧).
(٢) سورة آل عمران من الآية (١٢١).
(٣) ملاك التأويل بتصرف (٩٠/١، ٩٢).

(**وسارعُوا إلى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ**) ثم شرح هاهنا كيفية تلك المسارعة، فقال: سارِعُوا مُسَارَعَةَ الْمُسَابِقِينَ لِأَقْرَانِهِمْ فِي الْمِضْمَارِ.(١)

٦ــ قَوْله تعالى(**أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ**)(٢) وقوله تعالى(**أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ**)(٣)، وقوله(**أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُتْرَكُوا وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَلَمْ يَتَّخِذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَا رَسُولِهِ وَلَا الْمُؤْمِنِينَ وَلِيجَةً وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ**) (٤) فنجد في هذه الآيات الثلاث اختلافا في بعض المواضع بإبدال كلمة بأخرى، وقد وجهها الإسكافي بأن المقام في كل موضع يختلف عن الآخر، وإن كان كل منها في الحث على الجهاد في سبيل الله، ففي سورة البقرة جاءت مثالا للنبيﷺ ومن معه في اعتبارهم بأسلافهم من الأمم الماضية عندما أصابهم البأساء والضراء وزلزلوا حتى طلبوا نصر الله، أما آية آل عمران فجاءت بعد الحديث عن غزوة أُحد وما حدث للنبي ﷺوالمؤمنين معه فيها، ففيها إنكار على المؤمنين ظنهم دخول الجنة بغير مشقة ولا جهاد في سبيله وصبر على دينه، أما آية سورة التوبة فإنها خطاب للمجاهدين من المؤمنين، وتوعد لمن كان منهم يُبقى على أقارب له عند الظفر بهم.(٥)

ووجهها الكرماني بعزوه ما ذكره الخطيب الإسكافي قال: ومحصول كَلَامه: أَن الأول للنَّبِي وَالْمُؤمنِينَ، وَالثَّانِي للْمُؤْمِنين، وَالثَّالِث للمخاطبين جَمِيعًا. (٦)

ووضح الغرناطي وجوه التشابه بين الآيات الثلاث قال: ففي البقرة وآل عمران: " **أن تدخلوا الجنة** "، وفى براءة: " **أن تتركوا** ".

وفى سورة البقرة: " **ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم** "، وفى آل عمران وبراءة: " **ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم** ".

وسورة آل عمران: "**ويعلم الصابرين** "، وفى براءة: " **ولم يتخذوا من دون الله ولا رسوله ولا المؤمنين وليجة** " فهذه ثلاث سؤالات.

---

(١) التفسير الكبير (٢٩/٤٦٤، ٤٦٥).
(٢) سورة آل عمران الآية (١٤٢).
(٣) سورة البقرة الآية (٢١٤).
(٤) سورة التوبة الآية (١٦).
(٥) ينظر درة التنزيل بتصرف (١/٣٣٥/٣٤٠).
(٦) أسرار التكرار في القرآن (١/٨٤).

والجواب عن جميعها على الجملة: أن وجه اختلافهما ـ والله أعلم ـ ورودها أعقاب قصص مختلفة وقضايا متغايرة، فآية البقرة واردة على ما تقدمها من خطاب المؤمنين على العموم والتسوية في قوله تعالى(**يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً**)(١)، ثم حذرهم بقوله(**فَإِنْ زَلَلْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْكُمُ الْبَيِّنَاتُ...**)(٢)الآية، وأشار الواقع جوابا من قوله(**أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ**) إلى قدرته تعالى على من زل فحاد وتنكب بعد وضوح الأمر، فكان الكلام في قوة أن لو قيل بحسب أفهامنا القاصرة: فإن زللتم فحدتم وتنكبتم عن سلوك المنهج الذي أمرتم به بعد بيان الأمر فاعلموا أنه قادر على أخذكم وعقابكم لا يفوته هاربكم، ولا يخرج عن قهره أحد منكم، عليم بما تخفونه وتسرونه، ثم ذكرهم بحال غيرهم فقال تعالى(**سَلْ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَمْ آتَيْنَاهُمْ مِنْ آيَةٍ بَيِّنَةٍ** ...)(٣) الآية، ثم عرفهم بتزيين الدنيا للكافرين تسلية للمؤمنين فيما حف بمطلوبهم الأخروي من المكاره، وأخبرهم بما لهم في الآخرة إن صبروا واتقوا فقال(**وَالَّذِينَ اتَّقَوْا فَوْقَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**...)(٤)، ثم أخبرهم بما كان الأمر عليه أولا من كون الناس أمة أمة واحدة ثم اختلفوا فبعث الله النبيين... الآية، فلما خاطبهم بهذا كله وحصل من ذلك ومن إحالة الآي على أحوال من تقدم وإشارتها إلى ما ابتلوا به مما وضح منه صعوبة التخلص إلا بعد الصبر وتحمل المشقة مع سبقية التوفيق أعقب بقوله إشارة إلى تسلية المؤمنين فيما يصيبهم فقال(**أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ**...الآية) فعرفهم أنه لابد من الابتلاء والاختبار (**وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ**)(٥)، وأتبع بقوله تعالى(**مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ**) إلى ما ذكر سبحانه في قوله(**وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى أُمَمٍ مِنْ قَبْلِكَ فَأَخَذْنَاهُمْ بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ**)(٦)، فهذه الآية الآية ـ أعنى آية البقرة ـ لم يقع فيها تخصيص بغير المستجيبين المحسنين في إجابتهم لا من وجهة اللفظ ولا من وجهة المعنى فناسبها الإطناب وذكر حال من تقدم من الأمم في ابتلائهم.

وأما آية آل عمران فخوطب بها أهل أحد تسلية فيما أصابهم وخص فيها ذكر الجهاد والصبر ولم يقصد في الآية إخبار بغير ذلك؛ لأنها ترتيب

(١) سورة البقرة من الآية (٢٠٨).
(٢) سورة البقرة من الآية (٢٠٩).
(٣) سورة البقرة من الآية (٢١١).
(٤) سورة البقرة من الآية(٢١٢).
(٥) سورة محمد الآية (٣١).
(٦) سورة الأنعام من الآية (٤٢).

واقعة مخصوصة، فهذا ما انفردت به واختصت عن آية البقرة فقال تعالى(**أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ**) فلم يذكر هنا غير الجهاد والصبر.

أما آية براءة فخطاب للمؤمنين ممن شاهد فتح مكة وإعلام لهم بأنهم لا يكمل إيمانهم إلا بمطابقة ظواهرهم بواطنهم في ألا يقع منهم ***صغو*** إلى غير ما بايعوا الله عليه من الإخلاص فلا يجحدون ولا يعتمدون من دون الله ولا رسوله ولا المؤمنين ما يعتمدونه موئلا أو مرجعا، فإنه سبحانه لا يخفى عليه ما أسروه، وتحوم الآية على ذم من اتصف بصفة النفاق فأظهر خلاف ما أبطن، وقد تقدم قبلها ما يدل على ذلك من قوله تعالى(**يُرْضُونَكُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ وَتَأْبَى قُلُوبُهُمْ**)(١) فحَذِر المؤمنون من هذه الصفة، وعرفوا أنه لابد من ابتلائهم واختبارهم لتخلص أحوالهم وتمتاز من أحوال المنافقين، وأنهم لم يُتركوا دون ابتلاء واختبار ليميز الله الخبيث من الطيب، وهذا من بعضهم لبعض أعنى الاطلاع بعد الاختبار، والله سبحانه غنى عن هذا، وعليم بما تنطوي عليه كل نفس وما تكنه الضمائر، وإنما ثمرة الابتلاء والاختبار عائدة علينا ليطلع بعضنا من بعض على ما لم يكن ليطلع عليه لولا الاختبار، وعلمه سبحانه لا يتوقف على ابتلائنا ولا يتجدد عليه شيء ـــ تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا ـــ فالمراد بالآية: أم حسبتم أن تتركوا دون اختبار يفصل بين أحوالكم وأحوال المنافقين المذكورين فيما قبل، ولم تتعرض الآيتان من سورة البقرة وآل عمران لذكر نفاق بالإفصاح ولا بإيماء، بخلاف آية براءة فلما اختلفت المقاصد اختلفت العبارات في مطلع الآي وختامها بحسب ذلك، والله أعلم. (٢)

وكذلك وجهها ابن جماعة أيضا. (٣) وما وقفت عليه من كلام المفسرين حول الآية أنهم عندما يقفون عليها يذكرون نظائرها من السور الأخرى دون التعرض لتوجيه مواطن الاختلاف بين الآيات، والحقيقة أن الأسلوب وإن تغير في الآيات الثلاث لكنها جميعا تدل على أن دخول الجنة متوقف على الابتلاء، وإن اختلف السياق بينها واختلفت المناسبة التي نزلت فيها.

٧ـــ من المواضع المتشابهة بإبدال كلمة بأخرى قوله تعالى(**يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ**)(٤)، وفى سورة الفتح (**يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِمْ مَا**

(١) سورة التوبة من الآية (٨).
(٢) ملاك التأويل (٦٤/١، ٦٦).
(٣) كشف المعاني (١١٥/١، ١١٦).
(٤) سورة آل عمران من الآية (١٦٧).

لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ) (١) فقد عبر في آية آل عمران بلفظ الأفواه، وفي سورة الفتح بالألسنة، لم يتعرض الإسكافي، ولا الكرماني، ولا الأنصاري، ولا ابن جماعة لتوجيه ما بين الآيتين من التشابه، وإنما تعرض له الغرناطي في كتابه.

قال الغرناطي: للسائل أن يسأل فيقول: إن مقصود الآيتين قد اتحد؛ لأن حاصله التعريف بأن كلا من المذكورين في الآيتين أظهر خلاف ما أبطن، فلمْ قيل في الأولى(**بِأَفْوَاهِهِمْ)**، وفى الثانية**(بِأَلْسِنَتِهِمْ)** مع اتحاد المعنى؟

والجواب عن ذلك ـــ والله أعلم ـــ: أن قوله في الأولى**(بِأَفْوَاهِهِمْ)** ينبئ عن مبالغة واستحكام وتمكن في اعتقاد أو قصد لا يحصل من قوله **"بألسنتهم "**، ألا ترى قولهم: تكلم بملء فيه حين يريدون المبالغة، وقال تعالى**(الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ)**(٢) والمراد المبالغة في منعهم من الكلام، وإذا ختم على الأفواه امتنعت الألسنة عن النطق، وكان أحكم في المنع، ولما كان المراد بالآية الأولى الإخبار عن المنافقين كعبد الله بن أُبيّ وأصحابه ممن استحكم نفاقه وتقرر فقال يوم أُحدٍ ما حكى الله تعالى من قولهم في المخالفين لهم من الأنصار ممن أكرمه الله بالشهادة في ذلك اليوم(**لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا**)(٣) إلى ما قالوه من هذا، ثم وروا عنه بقولهم لصالحي المؤمنين (**لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَاتَّبَعْنَاكُمْ**)(٤)، فأخبر تعالى عنهم بما أكنوه من الكفر فقال تعالى(**هُمْ لِلْكُفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَانِ يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ**)(٥) فناسب الإبلاغ في قوله تعالى**(بأفواههم)** ما انطووا عليه واستحكم في قلوبهم من الكفر، وأما آية الفتح فإخبار عن أعراب ممن قال تعالى فيهم(**قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا**)(٦) وهؤلاء لم يستقر نفاقهم كالآخرين، وإنما أخل بهم قرب عهدهم بالكفر وإن لم يتقرر الإيمان في قلوبهم، لكن لا عن نفاق كنفاق الآخرين قال تعالى مخبرا عن هؤلاء الأعراب(**سَيَقُولُ لَكَ الْمُخَلَّفُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ شَغَلَتْنَا أَمْوَالُنَا وَأَهْلُونَا فَاسْتَغْفِرْ لَنَا**)(٧) فعن

(١) سورة الفتح من الآية (١١).
(٢) سورة يس من الآية (٦٥).
(٣) سورة آل عمران من الآية (١٦٨).
(٤) سورة آل عمران من الآية (١٦٧).
(٥) سورة آل عمران من الآية (١٦٧).
(٦) سورة الحجرات من الآية (١٤).
(٧) سورة الفتح من الآية (١١).

هؤلاء قال تعالى(**يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ**)، فعبر بالألسنة إشعارا بأن حال هؤلاء ليس كحال المنافقين المقصودين في آية آل عمران. فلاختلاف الطائفتين اختلفت العبارة عما صدر منهم، وورد كلٌ على ما يناسب، ولم يكن عكس الوارد ليناسب، والله أعلم ([1]).

وكذلك وقف بعض المفسرين أمام ذكر الأفواه والألسنة، وتوجيه اختصاص كل آية بما ورد فيها، ومن المعروف أن القول إنما يكون باللسان، وإنما عبر سبحانه في سورة آل عمران بالأفواه لإفادة أن هذا القول لا صحة له وإنما هو مجرد قول بالأفواه، ولا علاقة له بما في القلب، وذكر الأفواه والألسنة لإفادة أنه قول زور.

قال الثعلبي: قال أهل المعاني: إن الله عز وجل لا يذكر قولا مقرونا بذكر الأفواه والألسن إلا وكان ذلك القول زورا ([2])، **وقال أبو السعود:** وذِكرُ الأفواهِ والقلوبِ تصويرٌ لنفاقهم وتوضيحٌ لمخالفة ظاهرهم لباطنهم و" ما" عبارةٌ عن القول، والمرادُ به إما نفسُ الكلامِ الظاهر في اللسان تارة وفي القلب أخرى، فالمثبَتُ والمنفيُّ متحدان ذاتاً وإن اختلفا مظهراً، وإما القولُ الملفوظُ فقط فالمنفيُّ حينئذٍ منشؤُه الذي لا ينفك عنه القولُ أصلاً، وإنَّما عبَّر عنه به إبانةً لما بينهما من شدة الاتصال، أي: يتفوّهون بقول لا وجودَ له أو لِمَنشَئه في قلوبهم أصلاً من الأباطيلِ التي من جملتها ما حكي عنهم آنفاً، فإنهم أظهروا فيه أمرين ليس في قلوبهم شيء منهما، أحدُهما عدمُ العلم بالقتال، والآخَرُ الاتباعُ على تقدير العِلم به، وقد كذَبوا فيهما كذِباً بيّناً حيث كانوا عالمين به غيرَ ناوين للاتّباع، بل كانوا مُصِرِّين مع ذلك على الانخذال عازمين على الارتداد. ([3])

وقال ابن عرفة: قال في آل عمران(**هُمْ لِلْكُفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَانِ يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ**)([4]) قلب القول للأفواه كما لا للألسنة؟ فالجواب: أن قولهم هنالك أكثر وأعظم وأشنع لأنهم قالوا(**لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَاتَّبَعْنَاكُمْ**)([5])، وبدليل قول الله تعالى(**وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ**)فدلَّ على على كثرة قولهم، فنسب الكثير للأفواه إذ هي أوسع من الألسنة([6]).

(١) ملاك التأويل (٩٤/١).
(٢) تفسير الثعلبي (٣٣/٥).
(٣) تفسير أبي السعود(١١٠/٢).
(٤) سورة آل عمران من الآية (١٦٧).
(٥) سورة آل عمران من الآية (١٦٧).
(٦) تفسير ابن عرفة (٣٤/٤).

وذكر الأفواه والألسنة للتأكيد، وإلا فمجرد القول يفيد أنه يكون باللسان أو بالفم، كما تقول: كتبت بيدي، وقال الخطيب الشربيني: إضافة القول إلى الأفواه تصوير لنفاقهم، فإنّ إيمانهم موجود في أفواههم فقط، وبهذا انتفى كونه للتأكيد، كما قيل به لتحصيل هذه الفائدة، وقال ابن عادل: والظاهر أنّ القول يطلق على اللساني وعلى النفساني، فتقييده بأفواههم تقييد لأحد محمليه اللهمّ إلا أن يقال إطلاقه على النفساني مجاز. (١) ، فقد رأينا توجيه الغرناطي لآية آل عمران والتعبير فيها بالأفواه لاستحكام النفاق في قلب من تحدثت عنهم الآية وهم عبد الله بن أُبي وأصحابه، بخلاف الأعراب الذي تحدثت عنهم سورة الفتح فهم قريبو عهد بالإسلام ولم يستحكم النفاق في قلوبهم، أما صنيع المفسرين ــ فيما وقفت عليه ــ فوقفوا أمام التعبير بالأفواه والألسنة مع إفادة لفظ " يقولون" أنه يكون بها وبيان أنه للتأكيد، أو للتصوير، إلا ما كان من صنيع ابن عرفة من الإشارة إلى أن التعبير بالأفواه في آية آل عمران لأن قول المنافقين فيها أشنع وأعظم.

(١)السراج المنير للخطيب الشربيني (٢٦٤/١)

المبحث الثالث: الاختلاف بين الآيات المتشابهة باعتبار الإفراد والجمع

ورد في السورة الكريمة من الآيات المتشابهة باعتبار الإفراد والجمع ما يأتي: قوله تعالى(**ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَاتٍ وَغَرَّهُمْ فِي دِينِهِمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ**)(١) وقال في سورة البقرة(**وَقَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَةً...**)(٢) فعبر بالجمع" معدودات" في سورة آل عمران، وبالمفرد في سورة البقرة. وقد وجهها بعض الكاتبين في المتشابه بأن ما في البقرة جاء على الأصل وهو أن صفة جمع ما مفرده مذكر يجوز فيه الإفراد والجمع إلا أن الإفراد هو الأصل.

قال الإسكافي: فإن قيل: فما الفرق بين اللفظتين؟ ولم كانت الأولى "معدودة"، والثانية " معدودات" والموصوف في المكانين موصوف واحد وهو قوله " أياما"؟

والجواب عنه أن يقال: إن الجمع بالألف والتاء أصله للمؤنث نحو: مسلمة ومسلمات، وصفحة وصفحات، ومكسورة ومكسورات، ولا يجيء الجمع الذي واحده مذكر هذا المجيء إلا ألفاظ معدودة، نحو: حمام وحمامات، وجمل سبطر وجمال سبطرات، وأسد سبطر وأُسُد سبطرات، أي: تسبطر عند الوثوب (٣)، وأما قولهم: كوز (٤) مكسور، وجرة (٥) مكسورة، فإن ما فيه هاء التأنيث يجمع على" مكسورات" فيقال: جرار مكسورات، وكيزان مكسورة، وليس قولك: كيزان مكسورات بأصل، بل المستعمل المستمر في ذلك أن يقال: كيزان مكسورة، وثياب مقطوعة، و(**سُرُرٌ مَرْفُوعَةٌ. وَأَكْوَابٌ مَوْضُوعَةٌ. وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ**)(٦)، فالصفة الجارية على جمع المذكر الواحد يستمر فيه التأنيث على الحد الذي بينته.

---

(١) سورة آل عمران الآية (٢٤).

(٢) سورة البقرة من الآية (٨٠).

(٣) سبطر: اسْبَطَرَّ: اضطجَع وامتدَّ، وأسَدٌ سِبَطْرٌ، مثال هِزَبْرٍ، أي يَمتدُّ عند الوثبة. وجِمالٌ سِبَطْراتٌ: طِوالٌ على وجه الأرض، والتاء ليست للتأنيث، وإنما هي كقولهم: حمامات ورجالات، في جمع المذكر. الصحاح للجوهري (٦٧٦/٢) تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، الناشر: دار العلم للملايين – بيروت، الطبعة: الرابعة ١٤٠٧هـ ـــ١٩٨٧م.

(٤) كوز: هو من الأواني، من كازَ الشيءَ كَوْزاً: جَمَعَهُ، وكَزْتُه أكُوزُه كَوْزاً: جَمَعْتُهُ، وَالْجَمْعُ أكْوازٌ وكِيزانٌ وكِوَزَةٌ. لسان العرب لابن منظور(٤٠٢/٥) الناشر: دار صادر ـــ بيروت، الطبعة: الثالثة ١٤١٤هـ.

(٥) جرة: جر: قالَ اللَّيْث: الجَرُّ: آنِيَةٌ من خَزَفٍ، الْوَاحِدَة: جَرَّةٌ، والجميع: جِرَارٌ. تهذيب اللغة للأزهري(٢٥٤/١٠) تحقيق: محمد عوض مرعب، الناشر: دار إحياء التراث العربي ـــ بيروت، الطبعة: الأولى٢٠٠١م.

(٦) سورة الغاشية الآيات (١٣، ١٤، ١٥).

وعلامة الجمع المؤنث الواحد: الألف والتاء في الأصل، فلما كان "معدودة " من الطرد المستمر، استعمل لفظها في الأول، ولما كان الجمع بالألف والتاء قد يكون فيما واحده مذكر وإن قل، فكان على سبيل من سبل المجاز، يستعمل ذلك فيه كقوله تعالى(**وَاذْكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَعْدُودَاتٍ**)(1)، وقال(**فِي أَيَّامٍ مَعْلُومَاتٍ**)(2).

والأيام جمع يوم، وهو مذكر، فيكون هذا على أحد الوجهين، إما أن يكون المراد: اذكروا الله في ساعات أيام معلومات ومعدودات؛ لأن المراد أن يكبر الله تعالى في اليوم الواحد في أدبار الصلوات الخمس المكتوبة، فحذفت الساعات، وأقيم المضاف إليها مقامها، وإما أن يكون ألحق بما في واحد علامة التأنيث لاستوائهما في الجمع ودخولهما في الفرعية التي يكتسبان بها لفظ المؤنث.

فلما قيل: جرات مكسورة، والجرة مؤنثة جاز أيضا" كيزان مكسورات" حملا على الجمع الذي ليس بحقيقي، وإذا كان ذلك ف (معدودة) المذكورة في الآية التي في سورة البقرة مستمرة في بابها وباب غيرها، والجمع بالألف والتاء ليس بمستمر، وإنما هو على ضرب من التشبيه بما أصله الألف والتاء، فكان استعمالها أولا أولى، ولجواز الألف والتاء على غير طريق الاستمرار استعمل في الثاني ليشمل الأصل والجائز بالاستعمالة ، فأما المعنى في القلة فسواء في قوله (معدودة) و(معدودات)، وقد قال أيضا (أيام معلومات) على أن تكون الأيام المعلومة في الأصل تسعة فثلاثة منها أيام معلومة، وثلاثة أخرى منها مثلها، وثلاثة ثالثة معلومة، فتجمع هذه الثلاثات على الأيام المعلومات، لأن واحدتها أيام معلومة، والمعلومة تجمع على المعلومات. (3)

ووجهها الكرماني بأن الأَصْل فِي الْجمع إِذا كَانَ واحده مذكرا أَن يقْتَصر فِي الْوَصْف على التَّأْنِيث نَحْو قَوْله(**فِيهَا سُرُرٌ مَرْفُوعَةٌ. وَأَكْوَابٌ مَوْضُوعَةٌ. وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ. وَزَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ**)(4) وَقد يَأْتِي سرر مرفوعات على تَقْدِير: ثَلَاث سرر مَرْفُوعَة، وتسع سرر مرفوعات إِلَّا أَنه لَيْسَ بِالْأَصْلِ، فجَاء فِي الْبَقَرَة على الأَصْل، وَفِي آل عمرَان على الْفَرْع

(1) سورة البقرة من الآية (٢٠٣).
(2) سورة الحج من الآية (٢٨).
(3) درة التنزيل (١/٢٦٠، ٢٦٥).
(4) سورة الغاشية الآيات (١٣- ١٦).

وقَوله(فِي **أَيَّامٍ مَعْدُودَاتٍ**)([1])أي: فِي سَاعَات أيَّام معدودات وكَذَلِكَ(**فِي أَيَّامٍ مَعْلُومَاتٍ**)([2])([3])

وقال الغرناطي: ثم إن ما يجمع جمع التكسير من مذكر غير عاقل قد يتبع بالصفة المفردة مؤنثه بالتاء كما يفعل في الخبر تقول: ذنوب مغفورة وأعمال محسوبة، وقال تعالى(**فِيهَا سُرُرٌ مَرْفُوعَةٌ. وَأَكْوَابٌ مَوْضُوعَةٌ. وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ. وَزَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ**)ومنه قوله تعالى مخبرا عن يهود(**وَقَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَةً...**)، ثم قد يجمع هذا الضرب بالألف والتاء رعيا لمفرده، وإن لم يكثر إلا أنه فصيح، ومنه(**وَاذْكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَعْدُودَاتٍ**).

وإذ تبين ما ذكرناه وأنه الجاري الكثير مع ما وقع في آية البقرة من الإيجاز وفى الأخرى من الإطالة ألا ترى قوله تعالى في آية آل عمران: (**ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَاتٍ**)، وفى البقرة(**وَقَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَةً...**) وإخباره تعالى باغترارهم بقوله(**وَغَرَّهُمْ فِي دِينِهِمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ**)، وهذا بسط لحالهم الحامل على سوء مرتكبهم، ولم يقع في سورة البقرة تعرض لشيء من ذلك بل أوجز القول ولم يذكر سببه، فناسب الإفراد الإيجاز، وناسب الجمع الإسهاب، ولو جمع في سورة البقرة وأفرد في سورة آل عمران، أو أفرد فيهما، أو جمع فيهما لما ناسب، فورد كلٌ على ما يناسب ويجب.([4])

وقال ابن جماعة: إن قائلي ذلك من اليهود فرقتان:

إحداهما قالت: إنما نعذب بالنار سبعة أيام، وهي عدد أيام الدنيا.

وقالت فرقة: إنما نعذب أربعين يوما، وهي أيام عبادتهم العجل، فآية البقرة يحتمل قصد الفرقة الثانية، وآية آل عمران يحتمل قصد الفرقة الأولى. ([5])

ووجهه الرازي بأن الاسم إذا كان مذكرا فالأصل في صفة جمعه التاء، فيقال: كُوزٌ وَكِيزَانٌ مَكْسُورَةٌ وَثِيَابٌ مَقْطُوعَةٌ، وَإِنْ كَانَ مُؤَنَّثًا كَانَ الْأَصْلُ فِي صِفَةِ جَمْعِهِ الْأَلِفَ وَالتَّاءَ، يُقَالُ: جَرَّةٌ وَجِرَارٌ مَكْسُورَاتٌ، إلا أَنَّهُ قَدْ يُوجَدُ الْجَمْعُ بِالْأَلِفِ وَالتَّاءِ فِيمَا وَاحِدُهُ مُذَكَّرٌ فِي بَعْضِ الصُّوَرِ نَادِرًا نَحْوَ:

(١) سورة البقرة من الآية (٢٠٣).
(٢) سورة الحج من الآية (٢٨).
(٣) أسرار التكرار في القرآن (٧٦/١).
(٤) ملاك التأويل (٤٦/١، ٤٧).
(٥) كشف المعاني(١٠٣/١).

حَمَّامٌ وَحَمَّامَاتٌ، فجاء ما في البقرة على الأصل، وما في آل عمران جاء على الفرع. (١)

ووجهه أبو حيان بأنه جاء على القياس وأنه فصيح قال: وَهُمَا طَرِيقَانِ فَصِيحَانِ تَقُولُ: جِبَالٌ شَامِخَةٌ، وَجِبَالٌ شَامِخَاتٌ، فَتَجْعَلُ صِفَةَ جَمْعِ التَّكْسِيرِ لِلْمُذَكَّرِ الَّذِي لَا يَعْقِلُ تَارَةً لِصِفَةِ الْوَاحِدَةِ الْمُؤَنَّثَةِ، وَتَارَةً لِصِفَةِ الْمُؤَنَّثَاتِ. فَكَمَا تَقُولُ: نِسَاءٌ قَائِمَاتٌ، كَذَلِكَ تَقُولُ: جِبَالٌ رَاسِيَاتٌ، وَذَلِكَ مَقِيسٌ مُطَّرِدٌ فِيهِ. (٢)

واعتبره السمين الحلبي بأن هذا من التفنن في البلاغة لأنه يجوز فيه الوجهان، لكن خُصَّ الجمعُ بهذا الموضع لأنه مكانُ تشنيع عليهم بما فعلوا وقالوا، فأتى بلفظِ الجمع مبالغةً في زَجْرِهم وزجرِ مَنْ يعملُ بعملهم. (٣)

وكذلك قال الألوسي في تفسيره (٤).

وقال البسيلي: "معدودات"، وقال في البقرة " معدودة " بالإفراد، فالجمع بناء على أن كل يوم منها موصوف بكونه معدودًا، والإفراد بناء على أن المعدود مجموعها، لا يقال: يلزم على هذا كون الواحد معدودًا وهو ليس بعدد؛ لأن ذلك في اصطلاح أهل الحساب، وما مرادنا إلا أنه كقوله تعالى(**وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ**)(٥)، بالإفراد إشارة إلى أن تلك الأيام الأيام قليلة، والجمع إشارة إلى أن كل يوم منها في نفسه موصوف بالقلة، والقصر فهو أبلغ من وصف جميعها بالقلة، وأشار إليه الزمخشري في سورة البقرة، وأيضا فاليوم وإن كان واحدًا باعتبار وصف اليومية فهو متكثر متعدد باعتبار أزمنته، وساعاته(٦).

فتبين من خلال توجيه كل من الكاتبين في المتشابه اللفظي والمفسرين أن كلا من التعبيرين جائز في موضعه إلا أن الإفراد على الأصل حيث إن جمع صفة ما واحده مذكر يكون مفردا إلا أن الجمع جائز لكنه ليس كثيرا، ولم نر من شذ من المفسرين عن هذا التوجيه.

---

(١) التفسير الكبير للرازي (٥٦٧/٣).
(٢) البحر المحيط (٨٣/٣).
(٣) الدر المصون (٩٦/٣).
(٤) روح المعاني (١٠٧/٢).
(٥) سورة يوسف من الآية (٢٠).
(٦) التقييد الكبير في تفسير كتاب الله المجيد(٤٩٠/١) لأبي العباس أحمد بن محمد بن أحمد البسيلي التونسي(المتوفى ٣٨٠هـ)، الناشر: كلية أصول الدين، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ـــ المملكة العربية السعودية ـــ الرياض.

المبحث الرابع: الاختلاف بين الآيات المتشابهة باعتبار التذكير والتأنيث

المطلب الأول: التذكير والتأنيث في الضمائر:

ورد من الآيات المتشابهة في السورة باعتبار التذكير والتأنيث في الضمائر قوله تعالى(**أَنِّي أَخْلُقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ**)(١)، وقال في سورة المائدة(**وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنْفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِي**)(٢) حيث عبر في سورة آل عمران بالمذكر" فيه"، وفي سورة المائدة بالمؤنث" فيها".

قال الإسكافي: للسائل أن يسأل فيقول: إذا كان المذكور في الموضعين" **كهيئة الطير**"، وصلح أن يعود الضمير إلى مذكر وإلى مؤنث، فيراد مثل هيئة الطير، وهو مذكر، أو يراد هيئة كهيئة الطير، وهي مؤنثة، فما بال ما في آل عمران خص بالتذكير، وما في سورة المائدة خص بالتأنيث؟

فالجواب أن يقال: إن الأول الذي ذكّر الضمير" فيه" إنما هو فيما أخبر الله عز وجل به عن عيسى على نبينا وعليه السلام وقوله ﷺ لبني إسرائيل

(**أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ**)وعدَّ الآيات كلها عليهم، منها: أني آخذ من الطين ما أصور منه صورة على هيئة الطير في تركيبه، فأنفخ فيه، فينقلب حيوانا لحما، قد ركب عظما وخالط دما واكتسى ريشا وجناحا كالطائر الحي، والقصد في هذا المكان إلى ذكر ما تقوم به حجته عليهم، وذلك أول ما يصور الطين على هيئة الطير، ويكون واحدا تلزم به الحجة، فالتذكير أولى به.

والآية في سورة المائدة المخصوصة بتأنيث الضمير العائد إلى ما يخلقه، هي في ذكر ما عدد الله من النعم على عيسى ﷺ وما أصحبه إياه من المعجزات وأظهر على يده من الآيات، وابتداؤها:(**إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَى وَالِدَتِكَ إِذْ أَيَّدْتُكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَإِذْ عَلَّمْتُكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنْفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِي...**)، والإشارة في هذه الآية ليست إلى أول ما يبديه لبني إسرائيل من ذلك محتجا به عليهم، وإنما هي إلى جميع ما أذن الله تعالى في كونه دلالة على صدقة من قبيل الصور التي يصورها من الطين على هيئة الطير، وذلك

(١) سورة آل عمران من الآية (٤٩).
(٢) سورة المائدة من الآية (١١٠).

جمع التأنيث أولى به. (١)

وقد وجهها الكرماني بأن الضمير يعود إلى الطين، وقيل يعود إلى الطير، وقيل إِلَى المُهيأ، وَقيل إِلَى الْكَاف فَإِنَّهُ فِي معنى مثل، وأما في سورة المائدة فإنه يعود إلى الهيئة ولذلك أنثه. (٢)

ثم بين لماذا خصت كل سورة بما ورد فيها فقال: وَإِنَّمَا الْكَلَام وَقع فِي التَّخْصِيص وَهل يجوز أَن يكون كل وَاحِد مِنْهُمَا مَكَان الآخر أم لَا؟ فَالْجَوَاب أَن يُقَال: فِي هَذِه السُّورَة إِخْبَار قبل الْفِعْل فوَحَدَه، وَفِي الْمَائِدَة خطاب من الله تَعَالَى لَهُ يَوْم الْقِيَامَة، وَقد تقدم من عِيسَى عليه السلام الْفِعْل مَرَّات، وَالطير صَالح للْوَاحِد وَصَالح للْجَمِيع. (٣) وتبعه في هذا التوجيه الفيروزآبادي (٤)، وابن جماعة(٥)، والأنصاري. (٦)

وكذلك وجهها الغرناطي بأن الضمير في آية آل عمران يرجع إلى الكاف الذي هو بمعنى مثل، وأما في سورة المائدة فالضمير يرجع إلى الكاف التي هي صفة للهيئة فلذلك أنّثَ الضمير. (٧)

وقال في سبب اختصاص كل سورة بما ورد فيها كلاما جيدا حيث قال: الجواب عن وجه التخصيص والله أعلم: أن الترتيب الذى استقر عليه القرآن في سوره وآياته أصل مراعى، وقد تقدم بعض إشارة إلى ذلك، ولعلنا سنزيد في بيانه ـــ إن شاء الله ـــ، وعودة الضمير على اللفظ وما يرجع إليه أولى، وعودته على المعنى ثان عن ذلك، وكلا التعبيرين عال فصيح، فعاد في آية آل عمران على الكاف لأنها تعاقب مثل وهو مذكر فهذا لحظ لفظي، ثم عاد في آية المائدة إلى الكاف من حيث هي في المعنى صفة؛ لأن المثل صفة في التقدير المعنوي فحصل مراعاة المعنى ثانيا على ما يجب، وقد بينا أن رعى اللفظ في ذلك هو الأولى، فجرى في آية آل عمران على ذلك؛ لأنها متقدمة في الترتيب، وجرى في آية المائدة على ما هو ثان إذ هي ثانية في الترتيب وذلك على ما يجب.

وجواب ثان: وهو أنه قد ورد قبل ضمير آية آل عمران من لدن قوله تعالى(**وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَامَهُمْ**)(١) إلى قوله: "فأنفخ فيه " نحو

---

(١) درة التنزيل (٣٧٢/١، ٣٨٧).
(٢) أسرار التكرار في القرآن للكرماني (٨٩/١، ٩٠).
(٣) المرجع السابق (٩٠/١).
(٤) بصائر ذوي التمييز (١٦٢/١، ١٦٣).
(٥) كشف المعاني(١٢٩/١).
(٦) فتح الرحمن (٨٩/١).
(٧) ملاك التأويل (٨٣/١).

من عشرين ضميرا من ضمائر المذكر، فورد الضمير في قوله "فأنفخ فيه " ضمير مذكر ليناسب ما تقدمه ويشاكل الأكثر الوارد قبله. أما آية العقود فمفتتحة بقوله تعالى(**اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ**)وخلقه الطائر ونفخه فيه من أجلّ نعمه تعالى عليه لتأييده بذلك، فناسب ذلك تأنيث الضمير، ولم تكثر الضمائر هنا ككثرتها هناك، فجاء كلٌ من الآيتين على أتم مناسبة. (٢)

وقال ابن الجوزي: فإن قيل: لم قال هاهنا: "فَتَنْفُخُ فِيها"، وفي آل عمران "فيه"؟

فالجواب: أنه جائز أن يكون ذكَّر الطير على معنى الجميع، وأنَّث على معنى الجماعة، وجاز أن يكون "فيه" للطّير، "وفيها" للهيئة، ذكره أبو علي الفارسي. (٣)

وقال الإمام الرازي: أَنَّهُ تَعَالَى ذَكَرَ هَاهُنَا "فَتَنْفُخُ فِيها"، وَذَكَرَ فِي آلِ عِمْرَانَ "فَأَنْفُخُ فِيهِ"

وَالْجَوَابُ: أَنَّ قَوْلَهُ" **كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ**"، أَيْ: هَيْئَةٌ مِثْلُ هَيْئَةِ الطَّيْرِ، فَقَوْلُهُ "فَتَنْفُخُ فِيها" الضَّمِيرُ لِلْكَافِ، لِأَنَّهَا صِفَةُ الْهَيْئَةِ الَّتِي كَانَ يَخْلُقُهَا عِيسَى وَيَنْفُخُ فِيهَا، وَلَا يَرْجِعُ إِلَى الْهَيْئَةِ الْمُضَافِ إِلَيْهَا لِأَنَّهَا لَيْسَتْ مِنْ خَلْقِهِ وَلَا نَفْخِهِ فِي شَيْءٍ، إِذَا عَرَفْتَ هَذَا فَنَقُولُ: الْكَافُ تُؤَنَّثُ بِحَسَبِ الْمَعْنَى لِدَلَالَتِهَا عَلَى الْهَيْئَةِ الَّتِي هِيَ مِثْلُ هَيْئَةِ الطَّيْرِ وَتُذَكَّرُ بِحَسَبِ الظَّاهِرِ، وَإِذَا كَانَ كَذَلِكَ جَازَ أَنْ يَقَعَ الضَّمِيرُ عَنْهَا تَارَةً عَلَى وَجْهِ التَّذْكِيرِ وَأُخْرَى عَلَى وَجْهِ التَّأْنِيثِ. (٤)

وقال العكبري: وَالْهَاءُ فِي (فِيهِ): تَعُودُ عَلَى مَعْنَى الْهَيْئَةِ؛ لِأَنَّهَا بِمَعْنَى الْمُهَيَّأِ، وَيَجُوزُ أَنْ تَعُودَ عَلَى الْكَافِ: لِأَنَّهَا اسْمٌ بِمَعْنَى مِثْلَ، وَأَنْ تَعُودَ عَلَى الطَّيْرِ، وَأَنْ تَعُودَ عَلَى الْمَفْعُولِ الْمَحْذُوفِ.(٥)

وقال الواحدي: ولا يجوز أن تعود الكناية إلى الطين؛ لأن النفخ إنَّما يكون في طِينٍ مخصوص، وهو: ما كان مُهَيَّأً منه، والطينُ المتقدِّمُ ذكرهُ عامٌ، فلا تعود إليه الكناية؛ ألا ترى أنه لا يَنْفخ في جميع الطِّين.(٦)

=

(١) سورة آل عمران من الآية (٤٤).

(٢) ملاك التأويل (٨٣/١، ٨٤).

(٣) زاد المسير لابن الجوزي (٦٠٠/١) تحقيق: عبد الرزاق المهدي، الناشر: دار الكتاب العربي، بيروت، ط: أولى ١٤٢٢هـ.

(٤) التفسير الكبير(٤٦٠/١٢).

(٥) التبيان في إعراب القرآن للعكبري (٢٦٣/١).

(٦) التَّفْسِيرُ البَسِيْط لأبي الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي =

وقال ابن عادل: وفي هذا الرَّد نَظَر؛ إذ لقائلٍ أن يقول: لا نُسلِّم عمومَ الطين المتقدم، بل المراد بعضه، ولذلك أدخل عليه "مِنْ" التي تقتضي التبعيض، فإذا صار المعنى: أني أخلق بعض الطين، عاد الضَّمِيرُ عليه من غير إشكال، ولكنَّ الواحدي جعل "مِنْ" في " من الطين" لابتداء الغاية، وهو الظَّاهِرُ.(١)

وقال أبو حيان: وَقَرَأَ بَعْضُ الْقُرَّاءِ: فَأَنْفُخُهَا، أَعَادَ الضَّمِيرَ عَلَى الْهَيْئَةِ المحذوفة، إذ يكون التَّقْدِيرُ: هَيْئَةٌ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ، أَوْ: عَلَى الْكَافِ عَلَى الْمَعْنَى، إِذْ هِيَ بِمَعْنَى: مُمَاثِلَةٍ هَيْئَةَ الطَّيْرِ، فَيَكُونُ التَّأْنِيثُ هُنَا كَمَا هُوَ فِي الْمَائِدَةِ فِي قَوْلِهِ: فَتَنْفُخُ فِيها، وَيَكُونُ فِي هَذِهِ الْقِرَاءَةِ قَدْ حَذَفَ حَرْفَ الْجَرِّ. (٢)

فنجد توجيه المفسرين في تذكير الضمير هنا في سورة آل عمران لأنه يرجع إلى الكاف في قوله" كهيئة الطير" وهي بمعنى مثل، أو لأنه يعود إلى الطير، أو يعود إلى الهيئة لأنها بمعنى المُهيأ أي: فيكون المهيأ طيراً، بخلاف تأنيثه في سورة المائدة لأن الضمير فيها يرجع إلى لفظ الهيئة، أو إلى الكاف وهي صفة للهيئة وهي مؤنثة في المعنى، فكأنه قال: وإذ تخلق من الطين هيئة مثل هيئة الطير فتنفخ فيها.

فالسياق هو الذي اقتضى التذكير في سورة آل عمران، والتأنيث في سورة المائدة.

=

(المتوفى: ٤٦٨هـ) ((٢٦٩/٥) تحقيق: أصل تحقيقه في (١٥) رسالة دكتوراه بجامعة الإمام محمد بن سعود، ثم قامت لجنة علمية من الجامعة بسبكه وتنسيقه، الناشر: عمادة البحث العلمي ـــ جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الطبعة: الأولى١٤٣٠هـ.

(١) اللباب في علوم الكتاب لابن عادل الحنبلي (٢٤٣/٥، ٢٤٤).

(٢) البحر المحيط (١٦٣/٣، ١٦٤).

المطلب الثاني: التذكير والتأنيث في الأفعال:

ورد في السورة الكريمة من الآيات المتشابهة باعتبار التذكير والتأنيث في الفعل قوله تعالى(**فَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ جَاءُوا بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَالْكِتَابِ الْمُنِيرِ**)(١)، وقال في سورة فاطر (**وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ**)(٢) وذلك حيث ذكَّر الفعل" كذب" في آية آل عمران، وأنَّث في آية فاطر" كذبت" ولم يتعرض لتوجيهها الإسكافي، ولا الكرماني، ولا ابن جماعة، ولا الأنصاري.

وقد وجهها الغرناطي فقال: ورد في هاتين الآيتين المفعول المقام مقام الفاعل وهو"رسل" مكسر، والاسم المجموع جمع تكسير يجوز فيه التذكير والتأنيث، فورد في الآية الأولى"فقد كذب " على رعى التذكير ولم يقرأ بغيره، وفى الآية الثانية "فقد كذبت" على معنى التأنيث لزوما أيضا مع وحدة اللفظ في المرفوع المفعول وما يجوز فيه من التذكير والتأنيث فيسأل عن ذلك.

والجواب عن ذلك ــ والله أعلم ــ: أن كلا الآيتين مراعى فيه ما يلي تابعا للمرفوع من الوصف في الأولى وما عطف في الثانية، أما الأولى فقال تعالى(**جَاءُوا بِالْبَيِّنَاتِ**) ولا يمكن هنا إلا هذا فجرى على ما هو الأصل في جمع المذكر المكسر من التذكير فلم تلحق الفعل علامة التأنيث، وأما آية الملائكة(٣) فلحقت التاء الفعل رعيا لما عطف على الآية من قوله تعالى﴿**وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ**) فليس في هذا إلا التأنيث سواء بنى الفعل للفاعل أو للمفعول، فنوسب بين الآيتين فقيل "كذبت " على الجائز الفصيح في تأنيث المجموع المكسر ليحصل التناسب، ولا يمكن عكس الوارد في الآيتين، والله أعلم. (٤)

ولم أقف على شيء للمفسرين في توجيه التشابه بين الآيتين.

---

(١) سورة آل عمران الآية (١٨٤).

(٢) سورة فاطر الآية (٤).

(٣) يعني سورة فاطر ومن أسمائها سورة الملائكة وذلك لذكر الملائكة في أولها. تفسير الثعلبي" الكشف والبيان عن تفسير القرآن" (٩٧/٨)، أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي، أبو إسحاق (المتوفى: ٤٢٧هـ)، تحقيق: الإمام أبي محمد بن عاشور، مراجعة وتدقيق: الأستاذ نظير الساعدي، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت ــ لبنان، الطبعة: الأولى ١٤٢٢هـ ــ ٢٠٠٢م.

(٤) ملاك التأويل(٩٤/١، ٩٥).

المبحث الخامس: الاختلاف بين الآيات المتشابهة باعتبار التعريف والتنكير

ورد في السورة الكريمة من المتشابه مع غيره باعتبار التعريف والتنكير ما يأتي:

قوله تعالى(**إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ حَقٍّ...**)(١)، وقوله تعالى(**وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ**)(٢) وقال تعالى في سورة البقرة (**...ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ**)(٣)

فنجد أن الله عبر في آيتي آل عمران بلفظ الحق منكرا، وعرَّفه في سورة البقرة، وقد وجهه العلماء بأن ما في سورة آل عمران نزلت في قوم معاصرين لهذه الفعلة وهي قتل الأنبياء بغير الحق ويعتقدون صحتها فهي للتهديد لهم ولذا نكّره، أما ما في سورة البقرة فنزلت في قوم عرفوا واشتهروا بقتل الأنبياء بغير الحق، أي: بغير الحق المعروف الذي تقتل به النفس.

قال الإسكافي: والجواب عن ذلك: أن الآية الأولى في سورة البقرة خبر عن قوم عُرفوا وعُرفت أفعالهم ومضت أزمنتهم وأحوالهم، فلما شُهروا شُهر فعلهم بوقوعه منهم، وقيل: " الحق" هو ما قاله الله تعالى(**وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ...**)(٤)، والحق هو أن يكون قتل نفسا مؤمنة لم يجب عليها القتل، والقاتل مكلف، أو أن يرتد، أو يزني وهو محصن، فهذا معلوم مخبر عنه بلفظ المعرفة، والقتل وقع منهم من غير أن يكون على الأوجه الثلاثة المعلومة.

والموضع الثاني الذي نكّر فيه " حق" هو خبر عن قوم يرون ذلك ويعتقدونه ويدينون به، ألا تراه قال تعالى(**إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ**)، هؤلاء قوم لم يمضوا ولم ينقرضوا، فلذلك قال(**فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ**)، وقال في أول الآية(**إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ**) ولم يقل: إن الذين كفروا فلما لم تكن هذه الحالة واقعة منهم كانت مخالفة للحال الواقعة

(١) سورة آل عمران من الآية (٢١).
(٢) سورة آل عمران من الآية (١١٢).
(٣) سورة البقرة من الآية (٦١)
(٤) سورة الأنعام من الآية (١٥١).

التي جعلت خبرا عن قوم مضوا على هذه الأفعال، فقال فيهم(**ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ**).

فأما قوله تعالى (**ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوا إِلَّا بِحَبْلٍ مِنَ اللَّهِ وَحَبْلٍ مِنَ النَّاسِ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ**)([1]) فهو خبر عن قوم كانوا في عصر النبي ﷺ فقال(**وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ**) فكان خبرا عن اعتقادهم؛ لأنه لا يجوز أن يعاقبوا وتضرب عليهم الذلة والمسكنة بذنوب وقعت من آباءهم لا منهم، فيصيرون مثل الأولين الذين أخبر عنهم بقوله(**إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ**) في تمييزه إياهم عن القوم الذين كانوا في عصر موسى صلى الله على نبينا وعليه، فقال لهم(**اهْبِطُوا مِصْرًا فَإِنَّ لَكُمْ مَا سَأَلْتُمْ**) فاختير لفظ المعرفة في القصة التي وقعت ووقع الإخبار عنها، ولفظ النكرة في القصة التي وقع التهديد مقارنا لها ليمنع من وقوعها، وما كان في خبر ما لم يقع فالذنب في حيز المذكور، والعقاب عليه مثله كالمذكور. ([2])

وقد وجهه الكرماني بأن مَا فِي الْبَقَرَة إِشَارَة إِلَى الْحق الَّذِي أذن الله أن تقتل النَّفس بِهِ وَهُوَ قَوْله(**وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ...**)([3])، فَكَانَ الأولى أن يذكر مُعَرفا لِأَنَّهُ من الله تَعَالَى، وَمَا فِي آل عمرَان وَالنِّسَاء ([4]) نكرَة أي: بِغَيْر حق فِي معتقدهم وَدينهمْ فَكَانَ هَذَا بالتنكير أولى. ([5])

وبمثل هذا التوجيه وجهه الغرناطي. ([6])

ووجهه ابن جماعة بأن آية البقرة: نزلت في قدماء اليهود بدليل قوله تعالى(**ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ**)، والمراد: بغير الحق الموجب للقتل عندهم، بل قتلوهم ظلما وعدوانا.

---

(١) سورة آل عمران من الآية (١١٢).

(٢) درة التنزيل وغرة التأويل (٢٤٦/١، ٢٤٩). وأضاف الإسكافي معنى بديعا في الإتيان بقوله" بغير الحق" فقال": على أن هذه الآية يسأل عنها فيقال: قد كان في قوله: (ويقتلون النبيين) كفاية، لأنه لا يقتل نبي بحق، لأنه لا يرتكب واحد من الأوجه الثلاثة التي توجب القتل.

وعن هذا أجوبة، منها: ما ذكرنا، والآخر أن يقال: إن المعنى: أنهم كانوا يقتلون من غير أن يقع منهم ما يوجب عليهم القتل عندهم، وفي دينهم، وليس هذا موضع ذكر هذه الوجوه، وإنما القصد في هذا المكان إلى التفرقة بين لفظ المعرفة والنكرة في الآيتين.

(٣) سورة الأنعام من الآية (١٥١).

(٤) يقصد قوله تعالى(فَبِمَا نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ وَكُفْرِهِمْ بِآيَاتِ اللَّهِ وَقَتْلِهِمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ)[النساء(١٥٥)].

(٥) أسرار التكرار في القرآن (٧٤/١، ٧٥).

(٦) ملاك التأويل (٤١/١، ٤٢).

وآيات آل عمران: في الموجودين زمن النبيﷺ؛ بدليل قوله تعالى(**فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ**)، وبقوله تعالى(**إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ**)، وبدليل قوله تعالى في الثانية(**لَنْ يَضُرُّوكُمْ إِلَّا أَذًى** ...الآية)([1]). لأنهم كانوا حرصاء على قتل النبيﷺ، ولذلك سموه، ولكن الله تعالى عصمه منهم فجاء منكَّراً ليكون أعم فتقوى الشناعة عليهم والتوبيخ لهم، لأن قوله تعالى(**بغير حق**)بمعنى قوله: ظلما وعدوانا، وهذا هو جواب من قال: ما فائدة قوله: بغير الحق، أو: بغير حق، والأنبياء لا يقتلون إلا بغير حق ([2])، وكذلك وجهه الأنصاري ([3]) ، وحين ننظر إلى توجيه المفسرين لهذا التشابه بين الآيتين نجد الرازي يوجهه عند تفسيره لآية سورة البقرة يقول: فَإِنْ قِيلَ: قَالَ هَاهُنَا: **(وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ)** ذَكَّرَ **" الْحَقِّ"** بِالْأَلِفِ وَاللَّامِ مَعْرِفَةً، وَقَالَ فِي آلِ عِمْرَانَ:" **(إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ حَقٍّ)** نَكِرَةً، وَكَذَلِكَ فِي هَذِهِ السُّورَةِ:**(وَيَقْتُلُونَ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ لَيْسُوا سَوَاءً)** فَمَا الْفَرْقُ؟ الْجَوَابُ: الْحَقُّ الْمَعْلُومُ فِيمَا بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ الَّذِي يُوجِبُ الْقَتْلَ، قَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ "لَا يَحِلُّ دَمُ امْرِئٍ مُسْلِمٍ إِلَّا بِإِحْدَى مَعَانٍ ثَلَاثٍ، كُفْرٌ بَعْدَ إِيمَانٍ وَزِنًا بَعْدَ إِحْصَانٍ وَقَتْلُ نَفْسٍ بِغَيْرِ حَقٍّ"([4])، فَالْحَقُّ الْمَذْكُورُ بِحَرْفِ التَّعْرِيفِ إِشَارَةٌ إِلَى هَذَا، وَأَمَّا الْحَقُّ الْمُنْكَرُ فَالْمُرَادُ بِهِ تَأْكِيدُ الْعُمُومِ، أَيْ: لَمْ يَكُنْ هُنَاكَ حَقٌّ لَا هَذَا الَّذِي يَعْرِفُهُ المسلمون، ولا غيره البتة. ([5])، وكذلك وجهها النيسابوري ([6])

وقال أبو حيان: وَجَاءَ فِي هَذِهِ السُّورَةِ " بِغَيْرِ حَقٍّ" بِصِيغَةِ التَّنْكِيرِ، وَفِي الْبَقَرَةِ " بِغَيْرِ الْحَقِّ" بِصِيغَةِ التَّعْرِيفِ؛ لِأَنَّ الْجُمْلَةَ هُنَا أُخْرِجَتْ مَخْرَجَ

---

(١) سورة آل عمران من الآية (١١١).

(٢) كشف المعاني (٩٩/١، ١٠٠).

(٣) فتح الرحمن (٢٩/١).

(٤) أخرجه ابن ماجة ك: الحدود، بَابُ: لَا يَحِلُّ دَمُ امْرِئٍ مُسْلِمٍ إِلَّا فِي ثَلَاثٍ ح٢٥٣٣. سنن ابن ماجة (٨٤٧/٢) تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار إحياء الكتب العربية ــ فيصل عيسى البابي الحلبي، وأخرجه الترمذي ك: أبواب الديات، باب: مَا جَاءَ لَا يَحِلُّ دَمُ امْرِئٍ مُسْلِمٍ إِلَّا بِإِحْدَى ثَلَاثٍ ح ١٤٠٢ من حديث ابن مسعود بلفظ:" لَا يَحِلُّ دَمُ امْرِئٍ مُسْلِمٍ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنِّي رَسُولُ اللَّهِ، إِلَّا بِإِحْدَى ثَلَاثٍ: الثَّيِّبُ الزَّانِي، وَالنَّفْسُ بِالنَّفْسِ، وَالتَّارِكُ لِدِينِهِ الْمُفَارِقُ لِلْجَمَاعَةِ " وقال عنه الترمذي: حَدِيثُ ابْنِ مَسْعُودٍ حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ. سنن الترمذي(١٩/٤) تحقيق وتعليق: أحمد محمد شاكر (جـ ١، ٢)، ومحمد فؤاد عبد الباقي (جـ ٣)

وإبراهيم عطوة عوض المدرس في الأزهر الشريف (جـ ٤، ٥)، الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي ــ مصر، الطبعة: الثانية١٣٩٥هـ ــ ١٩٧٥م.

(٥) التفسير الكبير (٥٣٥/٣).

(٦) غرائب القرآن ورغائب الفرقان (٣٠١/١).

الشَّرْطِ، وَهُوَ عَامٌّ لَا يَتَخَصَّصُ، فَنَاسَبَ أَنْ يَكُونَ الْمَنْفِيُّ بِصِيغَةِ التَّنْكِيرِ حَتَّى يَكُونَ عَامًّا، وَفِي الْبَقَرَةِ جَاءَ ذَلِكَ فِي صُورَةِ الْخَبَرِ عَنْ نَاسٍ مَعْهُودِينَ، وَذَلِكَ قوله(**ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كانُوا يَكْفُرُونَ بِآياتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ**) فَنَاسَبَ أَنْ يَأْتِيَ بِصِيغَةِ التَّعْرِيفِ؛ لِأَنَّ الْحَقَّ الَّذِي كَانَ يُسْتَبَاحُ بِهِ قَتْلُ الْأَنْفُسِ عِنْدَهُمْ كَانَ مَعْرُوفًا، كَقَوْلِهِ(**وَكَتَبْنا عَلَيْهِمْ فِيها أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ**)(١) فَالْحَقُّ هُنَا الَّذِي تُقْتَلُ بِهِ الْأَنْفُسُ مَعْهُودٌ مَعْرُوفٌ، بِخِلَافِ مَا فِي هَذِهِ السُّورَةِ.(٢)

بقي أمر آخر يتعلق بالآيتين من سورة آل عمران حيث جمع لفظ النبيين في الآية الأولى جمع السلامة، وجمع الثاني جمع التكسير وهو وإن كان لا يدخل في هذا المبحث وهو التشابه باعتبار التعريف والتنكير وإنما آثرنا الحديث عنه هنا لمناسبته لهذه الآية، وقد وجهه الغرناطي فقال: والجواب عن السؤال الثاني: أن جمع التكسير يشمل أولى العلم وغيرهم، وجمع السلامة يختص في أصل الوضع بأولى العلم وإن وجد في غيرهم فبحكم الإلحاق والتشبيه كقوله تعالى(**إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ**)(٣)، وما يلحق بهذا.

وإذا تقرر هذا، فورود جمع السلامة في قوله في سورة البقرة:(**وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ حَقٍّ**)مناسب من جهتين: **إحداهما:** شرف الجمع لشرف المجموع.

والثانية: مناسبة زيادة المد لزيادة أداة التعريف في لفظ الحق.

وأما الآية الأولى من سورة آل عمران فمثل الأولى في مناسبة الشرف، ومناسبة زيادة المد للزيادة في الفعل العامل في اللفظ المجموع في قراءة من قرأ: "يقاتلون "، ولما لم يكن في الآية الثالثة سوى شرف المجموع وكانت العرب تتسع في جموع التكسير فتوقعها على أولى العلم وغيرهم أتى بالجمع هنا مكسرا لتحصل اللغتان حتى لا يبقى لمن تحدى بالقرآن حجة؛ إذ هم مخاطبون بما في لغاتهم فلا يقصر في شيء من خطابهم على أحد الجائزين دون الآخر. (٤)

(١) سورة المائدة من الآية (٤٥).
(٢) البحر المحيط (٧٦/٣).
(٣) سورة يوسف من الآية (٤) والشاهد فيها أنه أجرى ضمير العقلاء على غير العقلاء في قوله " رأيتهم" على سبيل التغليب.
(٤) ملاك التأويل (٤٢/١، ٤٣).

فنجد هنا الاتفاق بين الكاتبين في المتشابه اللفظي وبين المفسرين في توجيه التشابه بين هذه الآيات.

المبحث السادس
الاختلاف بين الآيات المتشابهة باعتبار الوصل والفصل

ورد في السورة الكريمة من الآيات المتشابهة باعتبار الوصل والفصل ما يأتي:

١ــ قَوْله تعالى(**قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ آمَنَ تَبْغُونَهَا عِوَجًا وَأَنْتُمْ شُهَدَاءُ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ**)(١)، وقال في سورة الأعراف(**وَلَا تَقْعُدُوا بِكُلِّ صِرَاطٍ تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِهِ وَتَبْغُونَهَا عِوَجًا**...)(٢)

فنجد أن آية آل عمران لَيْسَ فيها لفظ" بِهِ"، ولَا وَاو الْعَطف، وَفِي سورة الأعراف بزِيَادَة " بِهِ" وواو الْعَطف، ولم يتعرض لها الإسكافي، ولا الغرناطي.

ووجهها الكرماني بأن الْقيَاس: آمن بِهِ كَمَا فِي الْأَعْرَاف لَكِنَّهَا حذفت فِي هَذِه السُّورَة مُوَافقَة لقَوْله(**وَمَنْ كَفَرَ**)(٣)؛ فَإِن الْقيَاس فِيهِ أَيْضا: كفر بِهِ، وَقَوله(**تَبْغُونَهَا عِوَجًا**) هُنَا حَال، وَالْوَاو لَا تزداد مَعَ الْفِعْل إِذا وَقع حَالا نَحْو قَوْله(**وَلَا تَمْنُنْ تَسْتَكْثِرُ**)(٤) و(**دَابَّةُ الْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنْسَأَتَهُ**)(٥) وَغير ذَلِك، وَفِي الْأَعْرَاف عطف على الْحَال، وَالْحَال قَوْله " توعدون" و" تصدُّونَ" عطف عَلَيْهِ، وكَذَلِكَ (**تَبْغُونَهَا عِوَجًا**).(٦) وكذلك وجهها ابن جماعة (٧)، والأنصاري(٨) والفيروزآبادي(٩).

ولم يتعرض المفسرون لتوجيه التشابه بين الآيتين ــ في ما وقفت عليه من أقوالهم ــ وإنما غالب أقوالهم يرجع إلى بيان وجه إعراب قوله(**وَتَبْغُونَهَا عِوَجًا**)وأنها حال معطوفة على ما قبلها من الأحوال السابقة عليها، قال أبو السعود: ومحل تُوعِدُونَ وما عطف عليه: النصب على الحال أي: ولا تقعدوا موعدين وصادّين عن سبيل الله، وباغينها عوجاً. (١٠) ولعل خلو الأول من الواو في سورة آل عمران لوقوعها حالا والفعل المضارع إذا وقع حالا لا يسبقه الواو.

---

(١) سورة آل عمران الآية (٩٩).
(٢) سورة الأعراف من الآية (٨٦).
(٣) سورة آل عمران من الآية (٩٧).
(٤) سورة المدثر الآية (٦).
(٥) سورة سبأ من الآية (١٤).
(٦) أسرار التكرار في القرآن (٩٢/١).
(٧) كشف المعاني (١٣١/١، ١٣٢).
(٨) فتح الرحمن للأنصاري(٩٤/١).
(٩) بصائر ذوي التمييز (١٦٥/١).
(١٠) تفسير أبي السعود (١٢٨/٢).

٢ـــ من الآيات المتشابهة في السورة باعتبار الفصل والوصل أيضا قَوْله تعالى(**أُولَئِكَ جَزَاؤُهُمْ مَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ**)(١)، وقال في سورة العنكبوت(**وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُبَوِّئَنَّهُمْ مِنَ الْجَنَّةِ غُرَفًا تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ**)(٢) فنجد أن الله عطف بالواو في سورة آل عمران في قوله(**وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ**)، دون سورة العنكبوت.

وقد وجهها الإسكافي بأن الكلام في سورة آل عمران متداخل حيث قال:

والجواب: أن الآية من هذه السورة مبنية على تداخل الأخبار، لأن أولها(**أُولَئِكَ جَزَاؤُهُمْ مَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ**) ف**"أولئك"** مبتدأ، و**"جزائهم"** مبتدأ ثان، و**"مغفرة"** خبر المبتدأ الثاني، وهو مع خبره خبر عن المبتدأ الأول، والجزاء هو الأجر، فكأنه قال: أولئك أجرهم على أعمالهم محو ذنوبهم، وإدامة نعمهم، وهذا الأجر مفضل على كل أجر يعطاه عامل على عمله، فنسقت الأخبار بعضها على بعض للتنبيه على النعم التي هيئت لرجاء الراجين، وأكملت بها منية المتمنين.

والخبر إذا جاء بعد خبر في هذا المكان الذي تفصل فيه المواهب المرغب فيها، فحقه أن يعطف على ما قبله بالواو، وكقولك: هذا جزاء كذا وكذا، أي: هو ترك المؤاخذة بالذنب والتنعم في جنة الخلد، وتفضيله على كل جزاء جوزي به عامل، وذلك تشريف وكرامة.

وأما الآية التي في سورة العنكبوت فإن ما قبلها مبني على أن يدرج الكلام فيه على جملة واحدة، وهي(**وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُبَوِّئَنَّهُمْ مِنَ الْجَنَّةِ غُرَفًا...**) فقوله: (**والذين آمنوا**) مبتدأ، وقوله: (**لنبوئنهم**) في موضع خبره، وهذا الخبر يتصل به مفعولان، الأول:(**هم**)، والثاني(**غرفا**)، و(**غرفا**) نكرة موصوفة بقوله: (**تجري من تحتها الأنهار**)، وقوله: (**خالدين فيها**) حال من التبوئة.

فلما جعلت هذه الأشياء كلها في درج كلام واحد، وهي جملة ابتداء وخبر، واحتمل(**نعم أجر العاملين**) أن يجيء بالواو وأن يجيء من دونها، اختير مجيئها بغير واو ليشبه ما تقدم من صفة الخبر، لا على سبيل عطف ونسق بها.(٣)

قال الكرماني: لِأَن الِاتِّصَال بِمَا قبلهَا أكثر من غَيرهَا، وَتَقْدِيره: وَنعم أجر

(١) سورة آل عمران الآية (١٣٣٦).
(٢) سورة العنكبوت الآية (٥٨).
(٣) درة التنزيل (٣٩٦/١، ٣٩٨)

العاملين الْمَغْفِرَة والجنات وَالْخُلُود. (١)، وكذلك وجهها الغرناطي (٢)، وابن جماعة (٣)، والفيروزآبادي (٤)، والبسيلي (٥) وابن عرفة (٦).

وقال الأنصاري: ذكره بواو العطف هنا، وتركها في العنكبوت لوقوع مدلولها هنا بعد خبرين متعاطفيْن بالواو، فناسب عطفُه بها ربطاً، بخلاف ما في العنكبوت إذْ لم يقع قبلَ ذلك إلا خبرٌ واحد. (٧)

ووجه البيضاوي الفصل في آية آل عمران حيث قال: وفصل آية هؤلاء بقوله: وَنِعْمَ أَجْرُ الْعامِلِينَ؛ لأن المتدارك لتقصيره كالعامل لتحصيل بعض ما فوت على نفسه، وكم بين المحسن والمتدارك والمحبوب والأجير، ولعل تبديل لفظ الجزاء بالأجر لهذه النكتة (٨).

(١) أسرار التكرار في القرآن (٩٣/١).

(٢) ملاك التأويل (٩٢/١، ٩٣) حيث قال: ووجه ذلك ـــ والله أعلم ـــ أن الآية الأولى لما وقع فيها ذكر الجزاء مفصلا معطوفا فقيل:(أولئك جزاؤهم مغفرة من ربهم وجنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها) ناسبه أن عطفت الجملة الممدوح بها الجزاء فقيل:(ونعم أجر العاملين)، ولما لم يفصل الجزاء في سورة العنكبوت ولا وقع فيه عطف جاءت جملة المدح غير معطوفة ليتناسب النظم، والله أعلم.

(٣) كشف المعاني (١٣٤/١).

(٤) بصائر ذوي التمييز (١٦٦/١).

(٥) التقييد الكبير(٥٦٩/١).

(٦) تفسير ابن عرفة (٤١٩/١، ٤٢٠).

(٧) فتح الرحمن (٩٨/١، ٩٩).

(٨) تفسير البيضاوي(٣٩/٢).

المبحث السابع: الاختلاف بين الآيات المتشابهة باعتبار الإثبات والحذف

المطلب الأول: إثبات حرف وحذفه:

من الآيات المتشابهة في السورة الكريمة باعتبار زيادة بعض الحروف قوله تعالى(**فَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ جَاءُوا بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَالْكِتَابِ الْمُنِيرِ**)([1])، وقال في سورة فاطر(**وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ وَبِالزُّبُرِ وَبِالْكِتَابِ الْمُنِيرِ**)([2])

فنجد أنه قد زاد في سورة فاطر حرف الباء في كلمة " بالزبر وبالكتاب" وحذفه في سورة آل عمران، وقد وجهها الكاتبون في المتشابه اللفظي بأن الكلام في سورة آل عمران قائم على الإيجاز والاختصار فيها فناسب حذف الباء، بخلاف آية سورة فاطر حيث أقيم الكلام على الأصل، وقد قرأ ابن عامر في آية آل عمران " وبالزبر" بزيادة الباء كقراءة الجمهور ([3]).

([3]).

قال الإسكافي: للسائل أن يسأل عن اختلاف الآيتين في إدخال الباء في قوله(**وَبِالزُّبُرِ وَبِالْكِتَابِ الْمُنِيرِ**) في موضع، وحذفها منه في موضع في قراءة الأكثرين؟

والجواب أن يقال: إن الزبر والكتاب المنير في سورة آل عمران وقعا في كلام بني على الاختصار والاكتفاء بالقليل عن الكثير مع وضوح المعنى.

وكان أول ذلك قوله:" فإن كذبوك"، والتقدير: فإن يكذبوك، فوضع الماضي الذي هو أخف موضع المستقبل الذي هو أثقل بدلالة " إنْ" التي للشرط وحصول الخفة في اللفظ، ثم إن الفعل الذي جاء في جواب الشرط بني للمفعول، ولم يسم فاعله، فكان الاختيار أن يجعل آخر الكلام كأوله بالاكتفاء بما قل عما كثر منه مع وضوح المعنى.

والآية التي في سورة الملائكة ـ يعني سورة فاطرـ صدرت بما يخالف ذلك في الموضعين؛ لأن الشرط جاءفيها على الأصل بلفظ المستقبل، وهو: " وإن يكذبوك"، وجاء الجزاء أيضا مبنيا للفاعل، ولم يحذف منه ما حذف من الأول، فلما قصد توفية اللفظ حقه أتبع آخر الكلام أوله في توفية كل معمول في عامله، وهي حروف الجر التي استوفتها المجرورات، فلذلك اختلفت الآيتان والله أعلم. ([4])

---

(١) سورة آل عمران الآية (١٨٤).

(٢) سورة فاطر الآية (٢٥).

(٣) وهي قراءة متواترة. ينظر حجة القراءات لعبد الرحمن بن محمد، أبي زرعة ابن زنجلة (المتوفى حوالي٤٠٣هـ) (١٨٥/١) تحقيق: سعيد الأفغاني، الناشر: دار الرسالة.

(٤) درة التنزيل (٤٠١/١، ٤٠٢).

وبمثل هذا التوجيه وجهها الكرماني (١)، وابن جماعة (٢)، ولم يتعرض لتوجيه زيادة الباء الغرناطي، ولا الأنصاري.

وقال الألوسي في توجيه زيادة الباء في آية سورة فاطر للدلالة على أنها مغايرة للبينات بالذات بأن يراد بها المعجزات غير الكتب؛ لأن إعادة العامل تقتضي المغايرة، ولولاها لجاز أن يكون من عطف الخاص على العام (٣).

وقال الطاهر ابن عاشور: وَقَدْ خُولِفَ أَيْضًا فِي هَذِهِ الْآيَةِ أُسْلُوبُ آيَةِ آلِ عِمْرَانَ إِذْ قُرِنَ كُلٌّ مِنَ " الزُّبُرِ وَالْكِتَابِ الْمُنِيرِ" هُنَا بِالْبَاءِ، وَجُرِّدَا مِنْهَا فِي آيَةِ آلِ عِمْرَانَ؛ وَذَلِكَ لِأَنَّ آيَةَ آلِ عِمْرَانَ جَرَتْ فِي سِيَاقِ زَعْمِ الْيَهُودِ أَنْ لَا تُقْبَلَ مُعْجِزَةٌ رَسُولٍ إِلَّا مُعْجِزَةَ قُرْبَانٍ تَأْكُلُهُ النَّارُ، فَقِيلَ فِي التَّفَرُّدِ بِبُهْتَانِهِمْ: قَدْ كُذِّبَتِ الرُّسُلُ الَّذِينَ جَاءَ الْوَاحِدُ مِنْهُمْ بِأَصْنَافِ الْمُعْجِزَاتِ مِثْلَ عِيسَى عليه السلام وَمِنْ مُعْجِزَاتِهِمْ قَرَابِينُ تَأْكُلُهَا النَّارُ فَكَذَّبْتُمُوهُمْ، فَتَرْكُ إِعَادَةِ الْبَاءِ هُنَالِكَ إِشَارَةٌ إِلَى أَنَّ الرُّسُلَ جَاءُوا بِالْأَنْوَاعِ الثَّلَاثَةِ.(٤)

ولا شك أن زيادة الباء في آية فاطر لزيادة التوكيد والاستقلال في التكذيب، أي: كذبوا بالبينات على استقلالها وبالزبر وبالكتاب المنير.

قال أبو زرعة: وَاخْتُلف أهل النَّحْو فِي ذَلِك فَقَالَ قوم: مَرَرْت بزيد وَعَمْرو، ومررت بزيد وبعمرو سَوَاء، وَكَذَلِكَ "جاؤوا بِالْبَيِّنَاتِ والزبر"، "وبالزبر"، وَقَالَ الْخَلِيل: مَرَرْت بزيد وَعَمْرو مرورا وَاحِدًا، كَأَنَّك مَرَرْت بهما فِي حَال وَاحِد، فَكَذَلِك جَاءَت الرُّسُل بِالْبَيِّنَاتِ والزبر فِي حَال وَفِي وَقت وَاحِد، ومررت بزيد وبعمرو مرورين هَذَا لَا يكون فِي وَقت وَاحِد، فَكَذَلِك قَوْله "جاؤوا بِالْبَيِّنَاتِ" ثمَّ جاؤوا بالزبر، وَأَرَادَ بِالْبَيِّنَاتِ المعجزات، ثمَّ جاؤوا بعد ذَلِك بالزبر، أي: بالكتب.(٥)

فها نحن ذا حين التأمل في توجيه الكاتبين في المتشابه اللفظي نجدهم يوجهونها على أن الكلام قائم على الاختصار في آية آل عمران فاقتضى حذف الباء فيها، أما من تعرض لتوجيهها من المفسرين فقد وجه زيادة الباء في آية سورة فاطر للدلالة على المغايرة بين البينات وبين الكتب، فقد كانت معجزاتهم غير كتبهم، كما أن زيادة الباء تدل على الاستقلال في التكذيب بكل منهما، يعني كذبوا بالبينات على الاستقلال والانفراد، وكذبوا بالكتب على الاستقلال، وكما يعرف أن زيادة المبنى تدل على زيادة المعنى غالبا.

---

(١) ينظر أسرار التكرار في القرآن (٩٤/١).
(٢) كشف المعاني (١٣٤/١، ١٣٥).
(٣) روح المعاني (٣٥٦/٢).
(٤) التحرير والتنوير (٢٩٨/٢٢).
(٥) حجة القراءات لأبي زرعة(١٨٥/١).

المطلب الثاني: إثبات كلمة وحذفها:

ورد في السورة الكريمة من الآيات المتشابهة باعتبار إثبات كلمة في موضع وحذفها في موضع آخر ما يأتي:

١ــ زيادة لفظ "هو" في سورة الزخرف مع اتحاد موضوع الآيات قال تعالى(**إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ**)(١)، وقال في سورة مريم(**وَإِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ**)(٢)، وقال في سورة

الزخرف(**إِنَّ اللَّهَ هُوَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ**)(٣)

فقد ورد هنا وفي سورة مريم بدون لفظ "هو"، وفي سورة الزخرف ورد بزيادة لفظ " هو".

قال الإسكافي: للسائل أن يسأل عما أوجب اختصاصها بهذا التوكيد دون الموضعين الأولين، وهي كلها فيما أخبر الله تعالى به عن عيسى عليه السلام ؟

والجواب أن يقال: إنما لم يجب في الأولين من التوكيد ما أوجبه اختيار الكلام الموضع الثالث؛ لأن قوله عز وجل(**إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ**) حكاية عن عيسى عليه السلام بعد ما مضت آيات كثيرة في ذكره وابتداء أمره من مبتدأ الآية التي نزلت في شأن مريم، وهي(**وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَامَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ**)(٤) إلى آخر هذه العشر، فلما تناصرت هذه الآيات المتقدمة في ذكره، ودلت على إحداثه وخلقه، كانت فيها دلالة على أنه مربوب مصنوع بكثرة الأفعال التي أسندت إليه، وجعلت آيات له، وأنه عبد من عبيده، والله ربه ومالكه والقائم بمصالحه، وأنه أصحبه معجزات تدل على صدقة في نبوته، وكذبِ من قال ببنوته، فصرفتهم تلك الأفعال التي ذكرها إلى العلم بأنه تعالى ربه ، وكذلك في سورة مريم جاء قوله(**وَإِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ**)بعد ما مضت آيات كثيرة ابتداءها(**وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ**) وبعد عشرين آية مرت في قصتها قال(**وَإِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ**) وكانت تلك العشرون آية ناطقة بأن الله تعالى ربُه، فاكتفى بما طال من الكلام المؤكد لحاله على حقيقتها عن التوكيد الذي جاء في سورة الزخرف، لأنه لم يذكر هذه الآية إلا بعد قوله(**وَلَمَّا جَاءَ عِيسَى بِالْبَيِّنَاتِ قَالَ قَدْ جِئْتُكُمْ بِالْحِكْمَةِ وَلِأُبَيِّنَ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي تَخْتَلِفُونَ فِيهِ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ. إِنَّ اللَّهَ هُوَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ**

(١) سورة آل عمران الآية (٥١).
(٢) سورة مريم الآية (٣٦).
(٣) سورة الزخرف الآية (٦٤).
(٤) سورة آل عمران الآية (٤٢).

فَاعْبُدُوهُ)(١).

فالموضع الذي خلا من الآيات الكثيرة الدالة على أن الله تعالى ربُه، وهو عبده، لا ابنه، حسن تأكيد الكلام فيه صرفا للناس عما ادعوا من أنه ابن الله إلى أنه عبده، ألا ترى قوله في سورة مريم(**مَا كَانَ لِلَّهِ أَنْ يَتَّخِذَ مِنْ وَلَدٍ سُبْحَانَهُ إِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ.وَإِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ**)(٢)

واعلم أن التأكيد بقولك "هو" في مثل هذا الموضع يكون لأحد وجهين، إما أن تريد أنه على الصفة التي جعلتها خبرا عنه، لا على غيرها، وإما أن تريد أن أصحاب هذه الصفة التي جعلت خبرا عنه إنما هو فلان، لا غيره ، إذا قال القائل: إن زيداً هو أخوك، أي هو صديقك لا عدوك، أو يريد أن يقول: هو أخوك لا عمرو، فكذلك قوله تعالى(**إِنَّ اللَّهَ هُوَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ**)يحتمل أن يريد التأكيدين: أن يريد: أنه هو خالقي والقائم بمصالحي، لا غيره من الآلهة التي ترون عبادتها، وأن يريد: أنه هو ربي، لا أبي كما زعمت النصارى، تعالى الله عن أن يكون له ولد. (٣)

وقد وجهها الكرماني بأن لفظ "هو" إنما هو لإفادة اختصاص المبتدأ بالخبر واختصاص الخبر به، وقد ورد في سورة آل عمران بدونه لأنه وقع بعد عشر آيات من قصتها، وليس كذلك ما في الزخرف فإنه ابتداء كلام منه فحسن التأكيد بقوله "هو" ليصير المبتدأ مقصورا على الخبر المذكور في الآية، وهو إثبات الربوبية ونفى الأبوة تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا. (٤)، وكذلك قال في تفسيره الغرائب والعجائب(٥)، ووجهها ابن جماعة بهذا أيضا (٦)، ووافقهم الفيروزآبادي (٧).

وقال الغرناطي: وأما زيادة الضمير الفصلي في سورة الزخرف فيحرز بمفهومه معنى ضروريا دعا إليه ما تقدم في الآية قبله، وذلك ما أشار إليه قوله سبحانه وتعالى(**وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ**)(٨) إلى ما يتلو هذه، ففي التفسير: أنه لما نزل قوله تعالى(**إِنَّكُمْ**

(١) سورة الزخرف من الآيتين (٦٣، ٦٤).
(٢) سورة مريم من الآيتين (٣٥، ٣٦).
(٣) درة التنزيل (٣٧٩/١، ٣٨٣).
(٤) أسرار التكرار في القرآن(٩١/١).
(٥) غرائب التفسير وعجائب التأويل للكرماني(٢٥٧/١) دار النشر: دار القبلة للثقافة الإسلامية ــ جدة، مؤسسة علوم القرآن ــ بيروت.
(٦) كشف المعاني (١٢٩/١).
(٧) بصائر ذوي التمييز (١٦٣/١، ١٦٤).
(٨) سورة الزخرف الآية (٥٧).

وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ...) الآية (١) تعلق بها الكفار، وقالوا: قد عُبدت الملائكة، وعُبد المسيح وأنت يا محمد تزعم أن عيسى نبي مقرب، وأن الملائكة عباد مقربون، فإذا كان هؤلاء مع آلهتنا في النار فقد رضينا، وجادلوا بهذا؛ فأنزل الله تعالى(**إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَى أُولَئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ**)(٢)، وهذا مبسوط في كتب التفسير(٣)، فلما فلما كان قد تقدم في سورة الزخرف ذكر آلهتهم وقولهم(**أَآلِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ**)(٤) يعنون المسيح، ناسبه ما أعقبه به من قوله تعالى حاكيا عن المسيح عليه السلام(**إن الله هو ربى وربكم**) فكأن قد قيل: هؤلاء غيره فأحرز "هو" هذا المعنى، ولم يرد في آية آل عمران، وآية مريم من ذكر آلهتهم ما ورد هنا فلم يحتج إلى الضمير المحرز لما ذكرناه.(٥)

وبمثل توجيه الإسكافي وجه البسيلي في تفسيره زيادة لفظ" هو" فيما زيدت فيه من سورة الزخرف ونسبه للفخر الرازي، ولم أقف عليه في تفسيره عند الآيات الثلاث (٦).

وضمير الفصل" هو" إنما يؤتى به لإفادة الاختصاص(٧) يعني إفادة اختصاصه تعالى بالربوبية دون غيره، فهي رد لما ادعته النصارى من ربوبية عيسى عليه السلام وألوهيته.

٢ـــ ومن هذه المواضع إثبات لفظ " أوتي" في سورة البقرة وحذفها من سورة آل عمران:

قال تعالى(**قُلْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَالنَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ**)(٨)، وقال في سورة البقرة (**قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ**

---

(١) سورة الأنبياء من الآية (٩٨).
(٢) سورة الأنبياء الآية (١٠١).
(٣) أخرجه الطبري في تفسيره (٥٣٩/١٨).
(٤) سورة الزخرف من الآية (٥٨).
(٥) ملاك التأويل (٨٦/١، ٨٧).
(٦) التقييد الكبير للبسيلي(٥٤٦/١).
(٧) قال السيوطي في معترك الأقران: ضمير الفصل: ضمير بصيغة المرفوع مطابق لما قبله، تكلّما وخطاباً وغيبة، إفرادا وغيره.
وإنما يقَع بعد مبتدأ أو ما أصلُه المبتدأ وقَبْلَ خبرٍ كذلك، اسماً، نحو:(وأولئكَ هم المُفْلحون) [البقرة (٥)].
وله ثلاث فوائد: الإعلام بأنّ ما بعده خبر لا تابع. والتأكيد، ولهذا سماه الكوفيون دعامة، لأنه يدْعَم به الكلام، أي يَقْوَى ويؤكد، وبَنَى عليه بعضهم أنه لا يجمع بينه وبينه، فلا يقال: زيد نفسه هو الفاضل، والاختصاص. معترك الأقران في إعجاز القرآن للسيوطي (٤٦٧/٣) دار النشر: دار الكتب العلمية ــ بيروت ــ لبنان، الطبعة: الأولى١٤٠٨هـ ــ ١٩٨٨م.
(٨) سورة آل عمران الآية (٨٤).

وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ) (١) فقد أثبت كلمة " أوتي " في سورة البقرة دون آية آل عمران، ولم تتكرر كما كررت في آية سورة البقرة، وقد وجهها الكاتبون في المتشابه بأن لفظ الإيتاء لما تقدم في سورة آل عمران أغنى عن تكراره مرة أخرى، بخلاف آية سورة البقرة فلم يتقدم فيها لفظ الإيتاء على الآية المذكورة.

قال الإسكافي: وأما الموضع الثاني الذي أعيد فيه لفظة **" أوتي"** من سورة البقرة، ولم تعد فيما بإزائها من سورة آل عمران، فالجواب عنه أن يقال: إنما اختصر هناك؛ لأن العشر التي فيها مصدرة بقوله**(وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ)**(٢) فقدم ذكر إيتاء الكتاب، واكتفى به عن التكرير في الموضع الذي كرر فيه من سورة البقرة على سبيل التأكيد.

وبيان ذلك: أن هذه العشر مبنية على ذكر عهد الله إلى الأنبياء صلوات الله عليهم وسلامه، وما أُخذ عليهم من المواثيق في تبيين ما أنزله إليهم للناس، فقوله**(وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ)** هو قوله**(وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ)** في المعنى، فلما تقدم هذا الذكر وجاء**(وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى)** اكتفى عن إعادة **(وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ)** بالذكر المتقدم، ولما لم يتقدم في سورة البقرة ذكر إيتاء النبيين ما أوتوا من الكتب في هذه العشر لم يكن فيه ما يغني عن التأكيد بإعادة اللفظ، هذا الفرق بين الموضعين. (٣)

وبمثل هذا التوجيه وجهها الكرماني(٤)**، وابن جماعة** (٥).

وقال الغرناطي: والجواب عن السؤال الثالث: أي زيادة قوله في البقرة **(وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ)** وسقوط ذلك في السورة الأخرى، ووجه ذلك: أن الأمر في البقرة لما كان للرسل وللمؤمنين ناسبه تأكيد ذكر الإنزال على النبيين؛ لأن المؤمنين لا يفرقون بين أحد منهم وقد فرق غيرهم، فناسب حالهم وسجل إيمانهم بالجميع تأكيد مقالهم وتثبيت اعتقادهم فقالوا**(وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ)**، ولما كان توجه الأمر في السورة الأخرى ببادي الخطاب من قوله " قل" خاصا به، وبعد ذلك وقع التعميم ناسبه عدم التأكيد لتنزه الرسول ﷺ حالا ومقاما عن التفريق بين أحد من

(١) سورة البقرة الآية (١٣٦).
(٢) سورة آل عمران من الآية (٨١).
(٣) درة التنزيل (٣٠٤/١).
(٤) أسرار التكرار في القرآن (٧٩/١) .
(٥) كشف المعاني (١٠٨/١).

الرسل.([1])

وقال الراغب الأصفهاني: وأما إعادة لفظ **"وما أوتي"** هناك؛ فلأنه لما كان لفظ الخطاب عاماً، ومن حُكْم خطاب العامة البسط دون الإيجاز بُسط اللفظ، ولما كان الخطاب هاهنا خاصًا للنبي ﷺ على ما قدمنا اكتفى فيه بالإيجاز. ([2])

وبمثل توجيه الكاتبين في المتشابه اللفظي وجهها النسفي فقال: كرر في البقرة " وما أوتي" ولم يكرر هنا لتقدم ذكر الإيتاء حيث قال: "لما آتيتكم" ([3]).

٣ــ من المتشابه في سورة آل عمران باعتبار الإثبات والحذف إثبات كلمة(كانوا) في سورة البقرة والأعراف دون آل عمران، قوله تعالى(**مَثَلُ مَا يُنْفِقُونَ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتْهُ وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَكِنْ أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ**)([4])، وقال في سورة البقرة (**وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْغَمَامَ وَأَنْزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَى كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ**)([5])، وفي وفي سورة الأعراف(... **وَظَلَّلْنَا عَلَيْهِمُ الْغَمَامَ وَأَنْزَلْنَا عَلَيْهِمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَى كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ**)([6])

فنجد أنه تعالى زاد كلمة " كانوا" في آيتي سورة البقرة، والأعراف وغيرها ([7])، دون آية آل عمران، ووجهها الكرماني بأن مَا فِي السورتين إِخْبَار عَن قوم مَاتُوا وانقرضوا، وَمَا فِي آل عمرَان مَثَلٌ. ([8])

وقال الغرناطي: للسائل أن يسأل عن ورود "كان" الناقصة في آية النحل، وعرو آية آل عمران عنها مع اتحاد المعنى المقصود في الموضعين لاجتماع المذكورين فيهما في ظلمهم أنفسهم.

والجواب عن ذلك ــ والله أعلم ــ : أن آية آل عمران إنما نزلت في المعاصرين لرسول الله ﷺ الحاضرين عند نزول الآية، فورد الإخبار مساوقا لحالهم في وقت نزول الآية وما يلى ذلك متصلا به من الزمان، فلم

(١) ملاك التأويل (٥٢/١، ٥٣).
(٢) تفسير الراغب الأصفهاني (٦٩٠/٢).
(٣) تفسير النسفي (٢٧١/١).
(٤) سورة آل عمران الآية (١١٧).
(٥) سورة البقرة الآية (٥٧).
(٦) سورة الأعراف من الآية (١٦٠).
(٧) سورة التوبة الآية(٧٠)، وسورة النحل الآية (٣٣)، (١١٨)، وسورة العنكبوت الآية (٤٠)، وسورة وسورة الروم الآية (٩).
(٨) أسرار التكرار في القرآن(٧٢/١).

يكن لدخول" كان" التي تقتضى وقوع الشيء فيما تقدم من الزمان معنى تحرزه، وأما آية النحل فإخبار عمن تقدم زمانهم وعظ به غيرهم يبين ذلك قوله تعالى(**كَذَلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ**)، ثم قال: (**وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ**)، فالإخبار عن هؤلاء القبليين المشبه بهم من بعدهم من معاصريه ﷺ، فأحرزت **"كان"** هذا المعنى ولائمت الموضع، ولم تكن لتلائم آية آل عمران ولا الوارد في آية آل عمران، ليناسب ما قصد في آية النحل، فجاء كلٌ على ما يجب، والله أعلم.(١)

وواضح من السياق أن آية آل عمران مَثَلٌ ساقه الله لبيان نفقة الكافرين وأنها لا فائدة فيها، وَمَعْنَى الْآيَةِ: مَثَلُ نَفَقَةِ الْكَافِرِينَ فِي بُطْلَانِهَا، وَذَهَابِهَا، وَعَدَمِ مَنْفَعَتِهَا، كَمَثَلِ زَرْعٍ أَصَابَهُ رِيحٌ بَارِدَةٌ، أَوْ نَارٌ، فَأَحْرَقَتْهُ، أَوْ أَهْلَكَتْهُ، فَلَمْ يَنْتَفِعْ أَصْحَابُهُ بِشَيْءٍ مِنْهُ بَعْدَ أَنْ كَانُوا عَلَى طَمَعٍ مِنْ نَفْعِهِ وَفَائِدَتِهِ (٢). فاقتضى السياق أن يعبر بدون كلمة "كانوا".

ووافق ابنُ عرفة الغرناطي فقال في التنظير بينها وبين آية النحل: تقدمنا الجواب بأنه روعي فيه مقتضى اللفظ، لقوله تعالى(**يُنْفِقُونَ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا**)فعبر عنها بلفظ الحضور وهو اسم الإشارة، فناسب إسقاط "كان" المقتضية للمضي والانقطاع، وآية النحل ليس فيها ما يدل على الحضور بوجه، وأجاب الأستاذ أبو جعفر الزبير: بأن آية النحل في قوم مضوا؛ لأن قبلها(**كَذَلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ**)، وأما هذه فهي للمعاصرين للنبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم فناسب إسقاط كان.(٣)

المطلب الثالث: إثبات أكثر من كلمة وحذفها: ورد في السورة الكريمة من الآيات المتشابهة باعتبار زيادة أكثر من كلمة قوله تعالى(**إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَئِكَ لَا خَلَاقَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ**) (٤)، (٤)، وقال في سورة البقرة(**إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ الْكِتَابِ وَيَشْتَرُونَ بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلَّا النَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ**)(٥) فعبر في آية آل عمران بقوله(**أُولَئِكَ لَا خَلَاقَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ**) وقابلها في آية سورة البقرة (**أُولَئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلَّا النَّارَ**) كما زاد في آية آل عمران قوله(**وَلَا يَنْظُرُ**

(١) ملاك التأويل (٨٨/١، ٨٩).
(٢) فتح القدير للشوكاني (٤٢٩/١) الناشر: دار ابن كثير، دار الكلم الطيب ـــ دمشق، بيروت، الطبعة: الطبعة: الأولى ـــ١٤١٤هـ.
(٣) تفسير ابن عرفة (٤٠١/١).
(٤) سورة آل عمران الآية (٧٧).
(٥) سورة البقرة الآية (١٧٤).

إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ)

قال الإسكافي: للسائل أن يسأل فيقول: إن الإخبار في الموضعين عن أهل الكتاب الذين كتموا ذكر النبي من كتابهم المنزل عليهم من التوراة والإنجيل، والتوعد في الموضعين مختلف، والكبيرة واحدة، فهل هناك معنى يوجب اختلاف الوعيد في المكانين؟

الجواب أن يقال: الوعيد في كل مكان من المكانين حسب ما ذكر من عظيم الذنب وكبير الجرم، فقال في سورة البقرة(**إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ الْكِتَابِ)** فوصفهم بأنهم خالفوا الله في أمره ونقضوا ما قدم إليهم من عهده، حيث قال(**وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ...)**([1]) فهؤلاء لم يبينوا وكتموا فخالفوا بارتكاب ما نهى الله عن ارتكابه وترك ما أمر الله بإتيانه، ثم قال(**وَيَشْتَرُونَ بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا)** أي: نصيبا يسيرا من الدنيا، فجاء على هذا أغلظ الوعيد، وهو قوله(**أُولَئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلَّا النَّارَ)** أي: هذا الحظ اليسير الذي نالوه من الدنيا من مطعم ومشرب إنما هو نار في أجوافهم، ثم قال(**وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ)** أي: ليسوا ممن ترجى نجاتهم فيجيئهم من قبل الله كلام أو سلام، كما قال في أوليائه(**تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلَامٌ**)([2])، ثم قال(**وَلَا يُزَكِّيهِمْ**) أي: لا يطهرهم من ذنب الكفر بالعفو عنهم، (**وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ)**، ثم قال(**أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَى)** ([3])، فكرر ذكر سوء اشترائهم ووعيدهم، وأنهم باعوا الإسلام بالكفر، واشتروا عذاب الله بالغفران، واقتحموا عذاب النار، فعل من يعجب من صبره عليها، فهذه أنواع كثيرة من التوعد اقترنت بما حصل من الذنب العظيم في كتمانه، والإعراض عن تبيين ما وجب بيانه.

والآية التي في سورة آل عمران لم يذكر في أولها من الذنوب التي ارتكبوها مثل ما ذكر في أول هذه الآية قال:(**إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا)** فكان هاهنا ذكر بعض ما ذكر في الآية الأولى وهو(**وَيَشْتَرُونَ بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا)** فقرن به من الوعيد أقل مما قرنه بالآية الأولى، وهو أن قال(**لَا خَلَاقَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ)**أي: لا نصيب لهم من الخير،(**وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ)** كما يكلم أولياءه(**وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ)** نظرة رحمة(**وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيم)** ([4]).

---

(١) سورة آل عمران من الآية (١٨٧).
(٢) سورة الأحزاب من الآية (٤٤).
(٣) سورة البقرة من الآية (١٧٥).
(٤) درة التنزيل (٣٢٤/١).

وقد وجهه الكرماني بأن الْمُنكر فِي هَذِه السُّورَة أكثر فالمتوعد فِيهَا أكثر، وَإِن شِئْت قلت: زَاد فِي آل عمرَان(**وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِم)** فِي مُقَابلَة(**مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلَّا النَّارَ)** ([1]).

قال الغرناطي بعد أن ذكر عدة تساؤلات في الآية منها تخصيص كل موضع من هذه بما ورد فيه مرتكبا وجزاء.

والجواب عن السؤال الثالث: أن آية عمران إنما وردت في مرتكب مخصوص غير الكتم، وقد يكون من غير الكاتمين، وإن كان أنسب لحالهم وجرى مع مرتكبهم فهو يقع منهم ومن غيرهم، انفرد هذا المرتكب الشنيع بما توعدوا عليه، ولكونه أجرى في مرتكبات من قدم في آيتي البقرة اشتد فيه الوعيد، واتبعت الآية بما يشعر أنهم الأهلون لهذا المرتكب فقال تعالى(**وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُونَ أَلْسِنَتَهُمْ بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ**....)([2]) الآية، فليهم ألسنتهم من ضرب الكتم، وبالجملة فالآية مرتبطة بما يفصلها عن آيتي البقرة ومناسبتها موضعها بين لما تقدمها من قوله(**وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِنْ تَأْمَنْهُ بِقِنْطَارٍ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ إِنْ تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لَا يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَائِمًا** ...)([3]) إلى ما يتلو هذا فخصوص هذه الآية بموضعها أوضح شيء، وكل من هذه الآيات جار على أوضح مناسبة، والله أعلم. ([4])

ووافقهم ابن جماعة في توجيههم لكنه ساق ذلك بعبارة موجزة فقال: إن الذنب في البقرة أكبر فكان الوعيد أشد؛لأن في كتمانهم إضلال غيرهم مع كفرهم في أنفسهم، وآية آل عمران: لا يتضمن ظاهر لفظها ذلك لظهور اللفظ في معنى تأثير ليس كعدمه. ([5])، ولم أقف على شيء للمفسرين في بيان التشابه بين الآيتين.

(١) أسرار التكرار في القرآن (٨٢/١، ٨٣).
(٢) سورة آل عمران من الآية (٧٨).
(٣) سورة آل عمران من الآية (٧٥).
(٤) ملاك التأويل (٥٩/١، ٦٢).
(٥) كشف المعاني(١١٢/١).

المبحث الثامن: الاختلاف بين الآيات بالتوكيد وعدمه

ورد في سورة آل عمران من الآيات المتشابهة باعتبار التوكيد وعدمه ما يأتي:

١ــ قوله تعالى(**فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَى مِنْهُمُ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ آمَنَّا بِاللَّهِ وَاشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ**)(١)، وقال في سورة المائدة(**وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْحَوَارِيِّينَ أَنْ آمِنُوا بِي وَبِرَسُولِي قَالُوا آمَنَّا وَاشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ**)(٢) حيث عبر هنا بقوله **"بأنا"** بدون تأكيد، وفي سورة المائدة بقوله**" بأننا"**.

وقال الإسكافي: للسائل أن يسأل فيقول: لم خص ما سورة آل عمران ب **"أنا"**، وما في سورة المائدة ب **"أننا"**، والحرفان سواء، والتخفيف جائز في الموضعين كما يجوز الإتيان به على الأصل فيهما؟

والجواب أن يقال: إن الذي في سورة المائدة جاء على الأصل غير مخفف بالحذف، لأنه أول كلام الحواريين في هذا المعنى، ألا تراه خبرا عن الله تعالى أنه قال(**وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْحَوَارِيِّينَ أَنْ آمِنُوا بِي وَبِرَسُولِي قَالُوا آمَنَّا وَاشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ**)، والذي في سورة آل عمران حكاية عن عيسى عليه السلام أنه سألهم عما أقروا به لله تعالى، فقال (**مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ آمَنَّا بِاللَّهِ وَاشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ**) فكان ذلك منهم إقرارا ثانيا لرسوله عليه السلام بمثل ما أقروا به لله تعالى، والثاني يختار فيه من التخفيف ما لا يختار في الأول؛ لأن الأول قد وفى العبارة حقها، والثانية معتمدة على ما قبلها، وهي مكررة، والعرب تستثقل المُعَاد ما لا تستثقل غيره، فاختير في سورة آل عمران ما لم يختر في سورة المائدة لذلك. (٣)

وقد لخص الكرماني كلام الإسكافي فقال إن ما في المائدة أول كلام الحواريين فجاء على الأصل، وما في سورة آل عمران تكرار لكلامهم فجاز فيه التخفيف؛ لأن التخفيف فرع والتكرار فرع، والفرع بالفرع أولى. (٤)، كما ذكره في تفسيره غرائب التفسير (٥)، ونقله عنه الفيروزآبادي (٦)،

(١) سورة آل عمران الآية(٥٢).
(٢) سورة المائدة الآية (١١١).
(٣) درة التنزيل (١/ ٣٨٤، ٣٨٦).
(٤) أسرار التكرار في القرآن(٩١/١).
(٥) غرائب التفسير (٢٥٨/١).
(٦) بصائر ذوي التمييز (١٦٤/١).

وكذلك وجهها زكريا الأنصاري ([1]).

وفصل الغرناطي القول في اختصاص كل سورة بما ورد فيها حيث قال:

فللسائل أن يسأل عن وجه تخصيص كل من الموضعين بما ورد فيه؟

والجواب عن ذلك ـــ والله أعلم ـــ: أن آية المائدة لما ورد فيها التفصيل فيما يجب الإيمان به، وذلك قوله(**أَنْ آمِنُوا بِي وَبِرَسُولِي**)، فجاء على أتم عبارة في المطلوب وأوفاها ناسب ذلك ورود **"أننا "** على أوفى الحالين، وهو الورود على الأصل، ولما لم يقع إفصاح بهذا التفصيل في آية آل عمران حين قال تعالى(**قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ آمَنَّا بِاللَّهِ**)، فلم يقع هنا "وبرسوله " إيجازا للعلم به، وشهادة السياق ناسب هذا الإيجاز كما ناسب الإتمام في آية المائدة الإتمام فقيل هنا: (**واشهد بأنا مسلمون**)، وجاء كلٌ على ما يجب، ولو قدر ورود العكس لما ناسب، والله سبحانه أعلم بما أراد([2]).

وقال ابن جماعة: إن آية المائدة في خطاب الله تعالى لهم أولا، وفى سياق تعدد نعمه عليهم أولا، فناسب سياقه تأكيد انقيادهم إليه أولا عند إيحائه إليهم، وآية آل عمران في خطابهم المسيح لا في سياق تعدد النعم فاكتفى ثانيا بـ (أنَّا) لحصول المقصود. ([3])، وكذلك وجهها أبو حيان ([4])، والبسيلي ([5])، ووجهها ابن عرفة ببيان وجه التأكيد في سورة المائدة فقال: فقال: قال ابن عرفة: فالجواب: إيمان بعد أمر الله لهم به مباشرة، وجواب التكليف الواقع عن الله المناسب أن يكون أبلغ من جواب التكليف الصادر عن غيره.

الثاني: أن الوحي لهم ليس هو كالوحي المرسل، وإنما هو إلهام ففيه غرابة وإعجاب فناسب المبالغة في الإخبار بحصول الإيمان([6]) فهكذا نرى الاتفاق بين الكاتبين في المتشابه وبين المفسرين في توجيه التشابه بين الآيتين.

٢ـــ ومن هذه المواضع قوله تعالى(الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُنْ مِنَ الْمُمْتَرِينَ)([7])، وقوله(**الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ**)([8]) فعبر

(١) فتح الرحمن (٩٠/١).
(٢) ملاك التأويل (٨٧/١).
(٣) كشف المعاني(١٣٠/١).
(٤) البحر المحيط (٤٠٨/٤).
(٥) التقييد الكبير للبسيلي (٥٤٧/١).
(٦) تفسير ابن عرفة (٣٦١/١)
(٧) سورة آل عمران الآية (٦٠).
(٨) سورة البقرة الآية (١٤٧).

فعبر بالتوكيد في آية سورة البقرة، وجاء في آية آل عمران بدون توكيد. **ولم** يتعرض لتوجيهها من الكاتبين في المتشابه اللفظي الإسكافي، ولا الغرناطي، ولا الأنصاري.

وقد وجهها الكرماني بأن ما هنا في سورة آل عمران جاء على الأصل ولم يكن فيها ما أوجب إدخال نون التوكيد في الكلمة" تكن"، بخلاف سورة البقرة فإن فيها في أول القصة(**فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا**)([1]) بنون التوكيد فأوجب الازدواج إدخال النون في الكلمة، فيصير التقدير: فلنولينك قبلة ترضاها فلا تكونن من الممترين، الخطاب في الآيتين للنبي ﷺ والمراد به غيره. ([2]) وكذلك وجهها ابن جماعة ([3]).

وقال السيوطي بعد أن ساق كلام الكرماني: وأقول، بل لأن أمر القبلة كان محل الاضطراب؛ لكونه أول نسخ في الإسلام، وقد ارتد له جماعة، فناسب تأكيد النهي عن الامتراء فيه، ولهذا وقع هناك من التأكيد والتكرير ما لا مزيد عليه، وأما هنا فأمر عيسى واضح بيّنٌ لمن تأمله، فترك التأكيد. ([4])

ولم أقف للمفسرين على شيء في المقارنة بين الآيتين.

٣ــ قوله تعالى(**لَتُبْلَوُنَّ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيرًا وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ**)([5])، وقال في سورة لقمان(**يَابُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ**) ([6]) بغير لام في خبر" **إن**" في الآيتين، وفي سورة الشورى قال(**وَلَمَنْ صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ**)([7])، فزيد في هذه الآية اللام المذكورة في الخبر.

وقد وجهها الإسكافي، والغرناطي، والكرماني، وابن جماعة، والأنصاري.

قال الإسكافي: للسائل أن يسأل عما اقتضى توكيد الخبر باللام في سورة حم عسق في قوله(**لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ**)وتركه في سورة لقمان؟

والجواب أن يقال: إنّ ما رغب الله تعالى فيه عبده من الصبر على ما آلم

(١) سورة البقرة من الآية (١٤٤).
(٢) أسرار التكرار في القرآن (٩١/١).
(٣) كشف المعاني(١٣١/١).
(٤) قطف الأزهار في كشف الأسرار (٥٩٩/١).
(٥) سورة آل عمران الآية (١٨٦).
(٦) سورة لقمان الآية (١٧).
(٧) سورة الشورى الآية (٤٣).

قلبه من جناية جانٍ عليه حتى يغفر لمن ظلمه ويهب له من القصاص حقه ترغيب فيما يشق على الإنسان فعله، إلا أن الله حسّنه بما وعد مَن عفا عما يجب له من الأجر الذي ضمنه، ففيه مع جزيل الثواب إصلاحُ ما بين عشيرته وعشيرة الجاني عليه بإطفاء الثائرة عنهما، وإذا كان ذا من أصعب ما يتحمله الإنسان وجب من توكيد الكلام فيه ما لا يجب في غيره أدخلت اللام على(**لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ**)، على معنى: أنه من الأمور التي يُحتاج إلى توطين النفس عليها، وتخير أرفعها وأعلاها.

وليس كذلك ما في سورة لقمان؟ لأنه قال(**وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ**)وليس يختص صبرا على ظلم يلحقه فيرغب في العفو عن الظالم، بل تكون شدائد لا يهيّج النفوس الانتصار فيها، ولا تدعو دواع إلى الانتقام لها من الرزَايا في الأنفس والأموال، وما يكون من قبل الله تعالى مما تعبّدنا فيه بالصبر وليس لنا غيره.

فأما الموضع الذي أبيح فيه الانتصاف فالصبر فيه أشق، وكظم الغيظ معه أشد، والكلام فيه إلى التوكيد أحوج. ألا ترى أن صبر مَن قُتل بعضُ أعزته رغبة فيما وعده الله تعالى من مثوبة ليس كصبر مَن مات له بعض أحبته، فافتقر المكان الأول من تقوية الكلام فيما ينبه على الأفضل ما لم يحتج إليه المكان الآخر (١).

وبمثل هذا التوجيه وجهه الكرماني ولكنه اختصر الكلام فقال: لِأَن الصَّبْر على وَجْهَيْن: صَبر على مَكْرُوه ينَال الْإِنْسَان ظلما كمن قُتل بعضُ أعِزّته، وصبر على مكروه ليس بظلم؛ كمن مات بعضُ أعِزَّته، فالصبر على الأول أشد، والعزم عَلَيْهِ أوكد، وَكَانَ مَا فِي هَذِه السُّورَة من الْجِنْس الأول لقَوْله(**وَلَمَنْ صَبَرَ وَغَفَرَ**)فأكد الْخَبَر بِاللَّامِ، وَفِي لُقْمَان من الْجِنْس الثَّانِي فَلم يؤكده. (٢)، وتبعه الفيروزآبادي في هذا التوجيه (٣)

وقال الغرناطي: فللسائل أن يسأل عن الفرق، والجواب ــ والله أعلم ــ: اختلاف ما وقع الحض على الصبر عليه في هذه الآيات وأشير إليه بذلك وأنه من عزم الأمور، أما الأولى فإن قبلها(**لَتُبْلَوُنَّ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيرًا**) فوقع الإخبار بالابتلاء في الأموال والأنفس، وسماع الأذى ممن ذكر، فعرفوا بثلاثة ضروب وأمروا بالصبر عليها وهو أربعة أشياء، بالتفات التفصيل في المسموع منه الأذى، واعلموا أن الصبر عليها من عزم

(١) درة التنزيل (١١٥٨/١، ١١٦٠).
(٢) أسرار التكرار في القرآن (٢٢٣/١، ٢٢٤).
(٣) بصائر ذوي التمييز (٤١٩/١، ٤٢٠).

الأمور، وأما آية لقمان فأشير فيها بذلك إلى أربع خصال أمر بها لقمان ابنه وذلك قوله(**يَابُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ**)(١) وأتبعت بقوله تعالى(**إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ**) والأربعة في الآيتين من العدد القليل، وأما آية الشورى فالإشارة فيها بقوله "إن ذلك " إلى اثنى عشر مطلوبا من لدن قوله تعالى(**فَمَا أُوتِيتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَمَتَاعُ الْحَيَاةِ**)(٢) وهذه اشارة إلى التنزه عن ذلك ثم قيل للذين آمنوا: (**وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ**) فالإشارة إلى الإيمان والتوكل والتزام ذلك، ثم قال تعالى(**وَالَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ**)(٣) فهذه التزامات ثلاث، ثم قال(**وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ**)(٤)، فهذه التزامات أربع، ثم قال(: **وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنْتَصِرُونَ**)(٥)، فأشار إلى أن هؤلاء لا يظلمون أحدا وأن أقصى ما يقع منهم الانتصار ممن يظلمهم وذلك مباح لهم غير قبيح، وقد قيل بقوله بعد(**وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا**)(٦)، ثم عرف بحال أجلّ من ذلك وأعلى عملا فقال(**فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ**) وأعلم مع علو هذا الملتزم أن المنتصر ممن ظلمه ما عليه من سبيل، وإنما السبيل إنما هو على ظالمي الناس والباغين، وبعد هذه الخصال النيفة على العشر قال تعالى في التزام جميعها(**إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ**) فناسب كثرة هذه الخصال الجليلة زيادة اللام المؤكدة في قوله(**إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ**)، ولم يكن في الآيتين قبلها كثرة فناسبها عدم زيادة اللام، على أن ما ختمت به آية الشورى من قوله(**فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ**) وهي الخصلة الشاهدة بكمال الإيمان للمتصف بها فلو لم يكن قبل قوله(**إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ**) غيرها لكانت بمعناها أعم من الخصال المذكورة في آية آل عمران؛ إذ تلك الخصال داخلة تحت هذه الخصلة الجليلة ومن منطوياتها فناسب ذلك أتم المناسبة، ولم يكن العكس ليناسب، والله سبحانه أعلم.(٧)

وقال في موضع آخر عند تفسير سورة لقمان: يسأل عن مقتضى توكيد الخبر في هذه الآية وسقوط التوكيد من الأولى؟

---

(١) سورة لقمان من الآية (١٧).
(٢) سورة الشورى من الآية (٣٦).
(٣) سورة الشورى من الآية (٣٧).
(٤) سورة الشورى الآية (٣٨).
(٥) سورة الشورى من الآية (٣٩).
(٦) سورة الشورى من الآية (٤٠).
(٧) ملاك التأويل (٩٥/١، ٩٦)

والجواب عن ذلك، والله أعلم: أن آية الشورى، لما دخلها معنى القسم، وكانت على تقديره، إذ اللام في قوله: **(وَلَمَنْ صَبَرَ وَغَفَرَ)** توطئة له ودالة على تضمين الآية معناه، وناسب ذلك زيادة لام التأكيد في خبر إن، وذلك ظاهر في معنى الآية، وأما آية لقمان فقوله فيها**(إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ)** مجرد إخبار عن حال ما وقعت الوصية به، ولا مدخل للقسم هنا ولا معنى له، فلم تدخل لام التأكيد في الخبر؛ إذ ليس في الآية معنى قسم يستدعيها، ولا وقع في اللفظ ما يطابقها، فورد كلٌّ على ما يجب ويناسب، ولو قدر العكس لما ناسب، والله أعلم (١).

وقال ابن جماعة: جوابه: لما ذكر هنا جواز الانتقام، وذكر ترك ذلك لصفتين: الصبر والغفران، ناسب ذلك التوكيد، و" اللام "؛ لأن الصبر والغفران مع القدرة أشد على النفوس منهما مع عدم القدرة.

وآية لقمان: في صفة واحدة وهي: الصبر، ولعله فيها ليس له الانتقام فيه فلم يؤكد. (٢)، وكذلك وجهها الأنصاري (٣) ولم يتعرض أحد من المفسرين ــ فيما وقفت عليه ــ لتوجيه ما بين الآيات من التشابه ولعل ذلك لوضوح المعنى، وما وجه به الكاتبون في المتشابه وضح المراد من التأكيد في آية الشورى؛ لأن الأمر فيها بالصبر على ما للإنسان فيه غريم وهذا يحتاج إلى مجاهدة أكثر عن الصبر على البلايا التي لا دخل للإنسان فيها.

(١) المرجع السابق (٤٠٢/٢، ٤٠٣).
(٢) كشف المعاني (٣٣١/١).
(٣) فتح الرحمن (٥٠٩/١، ٥١٠).

المبحث التاسع: الاختلاف بين الآيات باعتبار الصيغة

من الآيات المتشابهة في السورة مع الاختلاف في الصيغة ما يأتي:

١ـ قوله تعالى(**نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ**)(١)، وقال في الحديث عن إنزال التوراة والإنجيل

(**وَأَنْزَلَ التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ**)(٢)، فعبر في الأول حين الحديث عن نزول القرآن بالفعل" نزَّل"، وفي الثاني حين الحديث عن إنزال التوراة والإنجيل بالفعل" أنزل "، ولم يتعرض كل من الإسكافي والكرماني لبيان الفرق بين التعبيرين في هذا الموضع.

قال الغرناطي: فليسأل عن تخصيص الكتاب بلفظ "نزل" المضعف، وتخصيص التوراة والإنجيل بلفظ "أنزل"؟

والجواب عن ذلك: أن لفظ " نزَّل" يقتضي التكرير لأجل التضعيف، تقول: ضرَب مخففا لمن وقع ذلك عليه مرة واحدة ويحتمل الزيادة والتقليل أنسب وأقوى.

أما إذا قلنا: ضرَّب بتشديد الراء فلا يقال إلا لمن كثر ذلك منه، فقوله تعالى(**نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ**) مشير إلى تفصيل المنزل وتنجيمه بحسب الدعاوى وأنه لم ينزل دفعة واحدة، أما لفظ " أنزل" فلا يعطى ذلك إعطاء" نزَّل" وإن كان محتملا، وكذا جرى في أحوال هذه الكتب فإن التوراة إنما أوتيها موسىﷺ جملة واحدة في وقت واحد وهو المراد بقوله تعالى(**وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَاحِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِكُلِّ شَيْءٍ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ...** الآية)(٣)أي المجموع، وأما الكتاب العزيز فنزل مقسطا من لدن ابتداء الوحى وقوله سبحانه وتعالى(**اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ**)(٤) إلى آخر عمره ﷺ ونزول قول الله تعالى(**الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا**) (٥)، وقوله تعالى(**وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ...**)(٦)، ولنزوله مقسطا ما قال الكفار(**لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً**)(٧) فقال تعالى(**لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ**)، وقال تعالى(**يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى**

(١) سورة آل عمران من الآية (٣).
(٢) سورة آل عمران من الآية (٣).
(٣) سورة الأعراف من الآية (١٤٥).
(٤) سورة العلق الآية (١).
(٥) سورة المائدة من الآية (٣).
(٦) سورة البقرة من الآية (٢٨١).
(٧) سورة الفرقان من الآية (٣٢).

رَسُولِهِ)(١) وهو القرآن ثم قال(**وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنْزَلَ مِنْ قَبْلُ)** والمراد التوراة، فورد ذكر التوراة فجاء كما ورد حين أفصح بذكر أسمائهم في قوله(**نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ)** ثم قال(**وَأَنْزَلَ التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ)**، وحيث يذكر أحد هذه الكتب مفردا عن غيره أو بغير الألف واللام العهدية فيأتي بلفظ "أنزل " فيهما، وإن أريدا معا كقوله تعالى **(وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلُ)**(٢)، ومنه(**وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ)**(٣)، وهذا كثير في القرآن حيث يعبر عن ذلك بما وإن كانت موصولة فليس فيها من العهد ما في "الذى" وفى الألف واللام ولا وقع الإفصاح باسم المنزل، وهذا فرق واضح؛ لأن "ما" تفارق الموصولية فتخرج إلى الإبهام فلا تكون فيها عهدية، أما " الذى" فلا تفارق ولا تخرج فالعهدية فيها لازمة، وكذا إذا ذكر أحد هذه الكتب مفردا عن غيره لم ينكر وروده بلفظ" أنزل" "ونزل" لأنهما يكونان بمعنى واحد كقوله تعالى(**الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ)**(٤)، وأما حيث يجتمع ذكرهما مفصحا باسم كل واحد أو بأداة العهد كما تقدم فلا يكون إلا على ما تقرر من حيث إن لفظ التضعيف أقوى من إعطاء معنى التنجيم والتفصيل كما تقدم، وهذا مطرد على كثرة ما ورد منه وتكرر.

ولم يرد إنزال التوراة بالتضعيف إلا في قوله تعالى(**مِنْ قَبْلِ أَنْ تُنَزَّلَ التَّوْرَاةُ...)**(٥)

وله وجه: وهو أن المراد ثبوت أحكامها وتقعيدها؛ وذلك أن بنى إسرائيل لما حرم عليهم ببغيهم وظلمهم ما حرم في قوله تعالى(**فَبِظُلْمٍ مِنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ**...الآية)(٦)، وقوله تعالى(**وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا كُلَّ ذِي ظُفُرٍ**...الآية) (٧)، وعرف الله سبحانه نبيه والمؤمنين بذلك أنكرت بنو إسرائيل تخصيصهم بذلك وزعموا أنهم لم يخصوا به وأنه قد كان محرما على نوح وابراهيم وكل من تقدم بني إسرائيل من الأمة فأكذبهم الله تعالى في ذلك، وقال(**كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حِلًّا لِبَنِي إِسْرَائِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَائِيلُ عَلَى نَفْسِهِ مِنْ قَبْلِ أَنْ تُنَزَّلَ التَّوْرَاةُ)**(٨)

(١) سورة النساء من الآية (١٣٦).
(٢) سورة المائدة من الآية (٥٩).
(٣) سورة البقرة من الآية (٤).
(٤) سورة الكهف من الآية (١).
(٥) سورة آل عمران من الآية (٩٣).
(٦) سورة النساء من الآية (١٦٠).
(٧) سورة الأنعام من الآية (١٤٦).

التَّوْرَاةُ)(١) أي من قبل حصولها منزلة وتقعيد حكمها وثبوتها، فلما قصد معنى استقرارها وتقعيد حكمها ورد اللفظ مضعفا ليشير إلى حكم ثبوتها واستقرارها والله أعلم بما أراد.(٢)

وقد بين ابن جماعة العلة في ذلك بأن القرآن نزل منجما مرة بعد مرة فحسن التضعيف، والتوراة والإنجيل نزلا دفعة واحدة فحسن التخفيف لعدم التكرار، وساق اعتراضا مفاده لو كانت العلة كما ذكر فقد عبر عن الفرقان والمراد به القرآن بلفظ " أنزل" حيث قال(**وَأَنْزَلَ الْفُرْقَانَ**)(٣) وكذلك قال(**هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ**)(٤)

قال: فإن قيل: قد قال بعده:(**هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ**)؟

جوابه: أما الفرقان فقيل: هو نصره على أعدائه، وقيل: هو القرآن، فعلى هذا: لما قال:(**وَأَنْزَلَ التَّوْرَاةَ**) حسن وأنزل الفرقان وأنزل عليك الكتاب: أي كما أنزل التوراة على موسى والإنجيل على عيسى، أنزل عليك القرآن والكتاب، ولأن التلون في اللفظ مع قرب العهد أحسن من إعادته بلفظه وإن اتحد قصده. (٥)

وبمثل توجيه ابن جماعة وجهها الواحدي حيث قال: وإنما قال: نزَّل، ثم قال(**وَأَنْزَلَ التَّوْرَاةَ**)لأن التنزيل للتكثير، والقرآن نزل نجوما شيئا بعد شيء، والتوراة والإنجيل نزلا دفعة واحدة. (٦)،

وكذلك السمعاني في تفسيره (٧)، والزمخشري (٨)، وذكر الراغب الأصفهاني هذه العلة، وذكر علة أخرى وهي أن القرآن نزل للتأبيد فناسب التعبير بنزَّل التي تفيد المبالغة (٩).

٢ـــ من الآيات المتشابهة في سورة آل عمران مع اختلاف الصيغة قوله تعالى(**تُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَتُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ**

(١) سورة آل عمران من الآية (٩٣).
(٢) ملاك التأويل (٧٦/١، ٧٧).
(٣) سورة آل عمران من الآية (٤).
(٤) سورة آل عمران من الآية (٧).
(٥) كشف المعاني في المتشابه من المثاني(١٢٤/١).
(٦)الوسيط في تفسير القرآن المجيد(٤١٢/١) أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي (المتوفى: ٤٦٨هـ)، تحقيق وتعليق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، الشيخ علي محمد معوض، الدكتور أحمد محمد صيرة، الدكتور أحمد عبد الغني الجمل، الدكتور عبد الرحمن عويس، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت ــ لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤١٥هـ ــ ١٩٩٤م.
(٧) تفسير السمعاني(٢٩٢/١) تحقيق: ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس بن غنيم، الناشر: دار الوطن، السعودية ــ الرياض، الطبعة: الأولى، ١٤١٨هـ ــ ١٩٩٧م.
(٨) الكشاف للزمخشري (٣٣٦/١).
(٩) تفسير الراغب الأصفهاني (٤٠٨/٢).

الْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَتَرْزُقُ مَنْ تَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ)(١)، وقال في سورة الأنعام(**إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَى يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ الْمَيِّتِ مِنَ الْحَيِّ ذَلِكُمُ اللَّهُ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ)**(٢) فعبر في سورة آل عمران بالفعل" تخرج" بالخطاب، وفي سورة الأنعام باسم الفاعل" ومخرج"، وقد وجهها من الكاتبين في المتشابه اللفظي في القرآن الإسكافي، والكرماني، والغرناطي، والأنصاري.

قال الإسكافي: للسائل أن يسأل فيقول: لم عطف الاسم على لفظ الفعل ولم يعطف عليه لفظ الفعل، كما قال في السور الأخر؟ وإذا عطف عليه بلفظ الاسم وهو(**وَمُخْرِجُ الْمَيِّتِ مِنَ الْحَيِّ**)، هلا ذكر اللفظ الأول بالاسم فيقول: مخرج الحي من الميت، فما الفائدة في ذلك؟ وما الفرق بينها وبين الآي الأخر؟

والجواب أن يقال: إن أول هذه الآية ذكر بلفظ الاسم وهو(**فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَى)** فكان اللائق به أن يقال: ومخرج الحي من الميت، ولكنه لما اجتمع ثلاثة حروف من حروف العلة دفعة واحدة، وهي: الواو من النوى والياء من النوى والواو من مخرج وهي واو العطف، ونقل عن لفظ الاسم إلى لفظ الفعل، لما كان يخرج ومخرج بمعنى واحد، فقال:**(يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ)**، فجعل الجملة وهي:**(يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ)** خبر الابتداء، كما تقول: إن زيدا ضارب عمرَ، ويكرم بكرا، ومكرم جعفرا، فهذا أفصح من أن تقول: إن زيدا ضاربُ عمرَ، ومكرمُ بكرٍ، ومكرمُ جعفرٍ، فلهذا المعنى قال: (**يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ الْمَيِّتِ مِنَ الْحَيِّ**).

فلما انتهى إلى العاطف من قرينه لم تكن فيه تلك العلة التي كانت في المعطوف عليه فأجري على ما أجري عليه أول الآى، وهو(**فَالِقُ الْحَبِّ**) **وما** بعده(**فَالِقُ الْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا**)(٣)، وعاد إلى لفظ الاسم وهو:**(وَمُخْرِجُ الْمَيِّتِ مِنَ الْحَيِّ**)، وعطفه على(**فَالِقُ الْحَبِّ**)، وليس في الآي الأخر ما في هذه الآية قبلها وبعدها من الإسمية، فذكر فيها على لفظ الفعل عاطفها ومعطوفها فبان الفرق بينهما على ما بينت. (٤)

وقال الكرماني بعد أن ذكر الآيات المتشابهة مع آية الأنعام في توجيه التعبير باسم الفاعل" مخرج": لِأن مَا فِي هَذِه السُّورَة وَقعت بَين أسمَاء الفاعلين وَهُوَ(**فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَى)**،**(فَالِقُ الْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا)**،

(١) سورة آل عمران الآية (٢٦).
(٢) سورة الأنعام الآية (٩٥).
(٣) سورة الأنعام من الآية (٩٦).
(٤) درة التنزيل (٥٢٦/٢، ٥٢٨).

وَاسم الْفَاعِل يشبه الِاسْم من وَجه فيدخله الْألف وَاللَّام والتنوين والجر وَغير ذَلِك، وَيُشبه الْفِعْل من وَجه فَيعْمل عمل الْفِعْل وَلَا يثنى وَلَا يجمع إِذا عمل وَغير ذَلِك، وَلِهَذَا جَازَ الْعَطف عَلَيْهِ بِالْفِعْلِ فَلَمَّا وَقع بَينهمَا ذكر(**يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ**) بلفظ الْفِعْل،(**وَمُخْرِجُ الْمَيِّتِ مِنَ الْحَيِّ**) بِلَفْظ الِاسْم عملا بالشبهين، وَأخر لفظ الِاسْم؛ لِأَن الْوَاقِع بعده اسمان والمتقدم اسْم وَاحِد، بِخِلَاف مَا فِي آل عمرَان لِأَن مَا قبله وَمَا بعده أفعَال فَتَأمل فِيهِ فَإِنَّهُ من معجزات الْقُرْآن. (١) ونقل هذا التوجيه بلفظه الفيروزآبادي (٢).

وقال الغرناطي: ووجه ذلك ــ والله أعلم ــ: أن بناء آية الأنعام على آية بنيت على اسم الفاعل وإن كان خبرا وهو قوله تعالى(**إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَى**)، ثم أعقب ذلك بقوله(**فَالِقُ الْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَناً**)(٣)، فلما اكتنفت الآية أسماء فاعلين جيء فيها باسم الفاعل في قوله (**وَمُخْرِجُ الْمَيِّتِ مِنَ الْحَيِّ**) ليناسب ذلك، فعطف "**وَمُخْرِجُ**" على" **فَالِقُ** " إذ هو معطوف على ما عطف عليه فهو معطوف عليه ثم جيء بعدُ باسم فاعل وهو قوله تعالى(**فَالِقُ الْإِصْبَاحِ**) فتناسب هذا، ولم يقع في الآخر المتضمنة إخراج الحى من الميت والميت من الحى مثل هذا؛ فلذلك لم يعدل إلى اسم الفاعل، والله سبحانه أعلم(٤). وكذلك وجهه زكريا الأنصاري. (٥)

ويرى الزمخشري أن قوله تعالى(**وَمُخْرِجُ الْمَيِّتِ مِنَ الْحَيِّ**) معطوف على قوله(**إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَى**) وليس معطوفاً على قوله(**يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ**)، قال الزمخشري: فإن قلت: كيف قال:(**مُخْرِجُ الْمَيِّتِ مِنَ الْحَيِّ**)بلفظ اسم الفاعل، بعد قوله(**يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ**)؟ قلت: عطفه على(**فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَى**)، لا على الفعل، و(**يخرج الحىَّ من الميت**)موقعه موقع الجملة المبينة لقوله(**فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوى**)؛ لأنّ فلق الحب والنوى بالنبات والشجر النامين من جنس إخراج الحىّ من الميت؛ لأنّ النامي في حكم الحيوان. (٦)

وكذلك ذكر الرازي هذا الوجه الذي ذكره الزمخشري، وذكر وجها آخر لعطفه على قوله(**فَالِقُ الحب والنوى**)**فقال**: وَفِيهِ وَجْهٌ آخَرُ، وَهُوَ أَنَّ لَفْظَ الْفِعْلِ يَدُلُّ عَلَى أَنَّ ذَلِكَ الْفَاعِلَ يَعْتَنِي بِذَلِكَ الْفِعْلِ فِي كُلِّ حِينٍ وَأَوَانٍ، وَأَمَّا لَفْظُ الِاسْمِ فَإِنَّهُ لَا يُفِيدُ التَّجَدُّدَ وَالِاعْتِنَاءَ بِهِ سَاعَةً فَسَاعَةً.

(١) أسرار التكرار للكرماني (١/١١٠، ١١١).
(٢) بصائر ذوي التمييز (١/١٩٤، ١٩٥).
(٣) سورة الأنعام من الآية (٩٦).
(٤) ملاك التأويل (١/٨٠).
(٥) فتح الرحمن (١/١٧١، ١٧٢).
(٦) الكشاف (٢/٤٧، ٤٨).

إِذَا ثَبَتَ هَذَا فَنَقُولُ: الْحَيُّ أَشْرَفُ مِنَ الْمَيِّتِ، فَوَجَبَ أَنْ يَكُونَ الِاعْتِنَاءُ بِإِخْرَاجِ الْحَيِّ مِنَ الْمَيِّتِ أَكْثَرَ مِنَ الِاعْتِنَاءِ بِإِخْرَاجِ الْمَيِّتِ مِنَ الْحَيِّ، فَلِهَذَا الْمَعْنَى وَقَعَ التَّعْبِيرُ عَنِ الْقَسَمِ الْأَوَّلِ بِصِيغَةِ الْفِعْلِ، وَعَنِ الثَّانِي بِصِيغَةِ الِاسْمِ، تَنْبِيهًا عَلَى أَنَّ الِاعْتِنَاءَ بِإِيجَادِ الْحَيِّ مِنَ الْمَيِّتِ أَكْثَرُ وَأَكْمَلُ مِنَ الِاعْتِنَاءِ بِإِيجَادِ الْمَيِّتِ مِنَ الْحَيِّ. واللَّه أَعْلَمُ بِمُرَادِهِ. (١)، وكذلك قال البيضاوي (٢)، والنسفي (٣)، وأبو حيان (٤).

وتعقب ابنُ المنير الزمخشري بعدم صحة عطفه على قوله" فالقُ الحب" وجعله معطوفا على قوله(**يخرج الحي من الميت**) فقال: وقد ورد جميعاً بصيغة الفعل كثيراً في قوله(**يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَيُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَكَذَلِكَ تُخْرَجُونَ**)(٥)، وقوله(**أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ**...)(٦) عطف أحد القسمين على الآخر كثيراً دليل على أنهما توأمان مقرونان، وذلك يبعد قطعُه عنه في آية الأنعام هذه وردُه إلى(**فالق الحب والنوى**)، فالوجه ـــ والله أعلم ـــ أن يقال: كان الأصل وروده بصيغة اسم الفاعل أسوة بأمثاله من الصفات المذكورة في هذه الآية من قوله(**فَالِقُ الْحَبِّ**) و(**فَالِقُ الْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ اللَّيْلَ**)، (**وَمُخْرِجُ الْمَيِّتِ مِنَ الْحَيِّ**) إلا أنه عدل عن اسم الفاعل إلى الفعل المضارع في هذا الوصف وحده، وهو قوله(**يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ**) إرادة لتصوير إخراج الحي من الميت واستحضاره في ذهن السامع، وهذا التصوير والاستحضار إنما يتمكن في أدائهما الفعل المضارع، دون اسم الفاعل والماضي.

ثم هذا المقصد إنما يجيء فيما تكون العناية به أقوى، ولا شك أن إخراج الحي من الميت أشهر في القدرة من عكسه، وهو أيضا أول الحالين والنظر أول ما يبدأ فيه، ثم القسم الآخر وهو إخراج الميت من الحي ناشئ عنه، فكان الأول جديراً بالتصدير والتأكيد في النفس، ولذلك هو مقدم أبدا على القسم الآخر في الذكر على حسب ترتيبهما في الواقع، وسهل عطف الاسم على الفعل، وحسنه أن اسم الفاعل في معنى الفعل المضارع فكل واحد منهما يقدر بالآخر، فلا جناح في عطفه عليه، والله أعلم. (٧)

---

(١) التفسير الكبير بتصرف يسير (٧٤/١٣).
(٢) تفسير البيضاوي (١٧٣/٢).
(٣) تفسير النسفي (٥٢٣/١).
(٤) البحر المحيط (٥٩٢/٤).
(٥) سورة الروم الآية (١٩).
(٦) سورة يونس من الآية (٣١).
(٧) الانتصاف فيما تضمنه الكشاف من الاعتزال لابن المنير السكندري المتوفى(٦٨٣ه) (٤٧/٢) =

وقالَ الطَّيبي: فإن قلت: لمَ لم يعطف على الفعل كما ذهب إليه الإمام ويكون الغرض إرادة الاستمرار في الأزمنة المختلفة كما سبق في قوله تعالى(**اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ**)(١) ليكون إخراج الحي من الميت أولى في القصد من عكسه، ولأن المناسبة في الصنعة البديعية تقتضي هذا؛ لأنه من باب العكس والتبديل كقوله(**يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ**)(٢) ولورود سائر ما يشبه الآية على المنوال؟

قلت: يمنعه ورود الجملة الثانية مفصولة عن الأولى على سبيل البيان، ولو عطف الثالثة على الثانية كانت بيانية مثلها، لكنها غير صالحة له لأن(**فالق الحب والنوى**) ليس متضمناً لإخراج الميت من الحي، فإن قلت: فقدر مبيناً مناسباً لها على تقدير(**فالق الحب والنوى**)؟ قلت: يفوت إذن غرض التعميم الذي تعطيه الآية من إرادة: تخرج الحيوان والنامي من النطف والبيض والحب والنوى، فإن هذا المعنى إنما يحصل إذا قدر **"وَمخرج"** معطوفاً على(**فالق الحب والنوى**) ثم يسري معنى العموم إلى قرينتها، فيصح أن يقال: مخرج الحي من الميت أي: الحيوان والنامي من النطف والبيض والحب والنوى، ومخرج هذه الأشياء الميتة من الحيوان والنامي، ولو قدر معطوفاً على(**تُخرج**)اختص بالحب والنوى. اهـ (٣)

٣ـــ من المواضع المتشابهة باعتبار الصيغة التعبير بلفظ " العزيز الحكيم" في سورة آل عمران، وبلفظ " إن الله عزيز حكيم" في الأنفال(٤).

قال الإسكافي: وفي هذه الآية مسألة أخرى وهي أن يقال: كيف اختلف الإخبار عن الله تعالى بالعز والحكمة في الآيتين، فجاء في سورة آل عمران مجيء الصفة فقال تعالى(**وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ**)، وجاء في سورة الأنفال بلفظ خبر ثان مستأنف فقال(**إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ**)؟

=

بهامش الكشاف، الناشر: دار الكتاب العربي ــ بيروت، الطبعة: الثالثة ــ ١٤٠٧هـ.

(١) سورة البقرة من الآية (١٥).

(٢) سورة فاطر من الآية (١٣).

(٣) فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب حاشية الطيبي على الكشاف (١٧٠/٦) الناشر: جائزة دبي الدولية للقرآن الكريم

الطبعة: الأولى١٤٣٤هـ ــ ٢٠١٣م، نواهد الأبكار وشوارد الأفكار حاشية السيوطي على البيضاوي (٣٧٢/٣) الناشر: جامعة أم القرى ــ كلية الدعوة وأصول الدين المملكة العربية السعودية (٣ رسائل دكتوراه)، عام النشر ١٤٢٤هـ ــ ٢٠٠٥م.

(٤) سورة آل عمران الآية (١٢٦)، وسورة الأنفال الآية (١٠).

والجواب أن يقال: القصد إعلام المخاطبين أن النصر ليس من قبل الملائكة، ولا من جهة العدد والعُدة وفضل القوة، ولكنه من القادر الذي لا يغلب ولا يمنع عما يريد فعله، والحكيم الذي يضع النصر موضعه.

والآية التي في الأنفال إنما هي في قصة يوم بدر، وبين الله تعالى ذلك بلفظ (جعله) كالعلة لكون النصر بيده، فكأنه قال في المعنى: النصر ليس إلا من عند الله، لأنه العزيز الذي لا يمنع عما يريد فعله، الحكيم الذي يضع النصر في موضعه، ففصل ذلك في خبرين على الأصل الواجب في توفية كل معنى حقه من البيان.

والآية التي في سورة آل عمران هي في قصة يوم أحد، وهي بعد يوم بدر، وكان هذا البيان قد جعل خبرا عن النصر في اليوم الأول، فاقتصر من ذكر مثله في اليوم الثاني على خبر واحد، يجري عليه معنى الخبر الثاني مجرى الوصف، لاختصار المعنى عن البسط، اعتمادا على ما فصل في الخبر الأول، فكان الاختصار بالثاني أليق، وكان الثاني له أجمل، فخص كل موضع بما رأيت لما ذكرت، والله أعلم.(١)

وقال الكرماني: وَحذف **" إِن الله"** هَهُنَا؛ لِأَن مَا فِي الْأَنْفَال قصَّة بدر، وَهِي سَابِقَة على مَا فِي هَذِه السُّورَة فَإِنَّهَا فِي قصَّة أُحد، وَأخْبر هُنَاكَ بِأَن الله عَزِيز حَكِيم، وَجعله فِي هَذِه السُّورَة صفة لِأَن الْخَبَر قد سبق (٢).

وقال الغرناطي: والجواب عن السؤال الثالث: أن آية الأنفال تقدم فيها أوعاد جليلة كقوله تعالى**(وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ)**، ثم قال**(وَيُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُحِقَّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ)**(٣)، ثم قال**(لِيُحِقَّ الْحَقَّ وَيُبْطِلَ الْبَاطِلَ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ)**(٤)

فهذه أوعاد عليّة لم يتقدم إفصاح بمثلها في آية آل عمران فناسبها تأكيد الوصفين العظيمين من قدرته جل وتعالى على كل شيء وحكمته في أفعاله فقال**(إن الله عزيز حكيم)**، ولما لم يقع في آية آل عمران إفصاح بما في آية الأنفال وردت الصفتان تابعتين دون تأكيد، وجاء كلٌ على ما يناسب، ولم يكن عكس الوارد في تعقيب الآيتين ليناسب، وذلك واضح، والله أعلم. (٥)

وقال أبو حيان في المقارنة بين الآيتين: وَهُنَا جَاءَ**(إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ)**مُرَاعَاةً لِأَوَاخِرِ الْآي، وَهُنَاكَ لَيْسَتْ آخِرَ آيَةٍ لِتَعَلُّقِ**(يَقْطَعَ)**بِمَا قَبْلَهُ،

(١) درة التنزيل (٣٩٢/١).
(٢) أسرار التكرار في القرآن (٩٢/١)
(٣) سورة الأنفال من الآية (٧).
(٤) سورة الأنفال الآية (٨).
(٥) ملاك التأويل (٩٠/١).

فَنَاسَبَ أَنْ يَأْتِيَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ عَلَى سَبِيلِ الصِّفَةِ، وَكِلَاهُمَا مُشْعِرٌ بِالْعَلِيَّةِ كَمَا تَقُولُ: أَكْرِمْ زَيْدًا الْعَالِمَ، وَأَكْرِمْ زَيْدًا إِنَّهُ عَالِمٌ (١).

وقال الطاهر ابن عاشور: ثَالِثُهَا: أَنَّهُ قَالَ فِي سُورَةِ آلِ عِمْرَانَ(**الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ**)فَصَاغَ الصِّفَتَيْنِ الْعَلِيَّتَيْنِ فِي صِيغَةِ النَّعْتِ، وَجَعَلَهُمَا فِي هَذِهِ الْآيَةِ فِي صِيغَةِ الْخَبَرِ الْمُؤَكَّدِ، إِذْ قَالَ:(**إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ**) فَنَزَّلَ الْمُخَاطَبِينَ مَنْزِلَةَ مَنْ يَتَرَدَّدُ فِي أَنَّهُ تَعَالَى مَوْصُوفٌ بِهَاتَيْنِ الصِّفَتَيْنِ: وَهُمَا الْعِزَّةُ، الْمُقْتَضِيَةُ أَنَّهُ إِذَا وَعَدَ بِالنَّصْرِ لَمْ يُعْجِزْهُ شَيْءٌ، وَالْحِكْمَةُ فَمَا يَصْدُرُ مِنْ جَانِبِهِ غَوْصُ الْأَفْهَامِ فِي تَبَيُّنِ مُقْتَضَاءِ، فَكَيْفَ لَا يَهْتَدُونَ إِلَى أَنَّ اللَّهَ لَمَّا وَعَدَهُمُ الظَّفَرَ بِإِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ وَقَدْ فَاتَتْهُمُ الْعِيرُ أَنَّ ذَلِكَ آيِلٌ إِلَى الْوَعْدِ بِالظَّفَرِ بِالنَّفِيرِ.(٢)

فنجد أن الكاتبين في المتشابه عللوا الاختلاف بين الآيتين بمناسبة السياق من الإيجاز والإطناب في كل موضع بما يناسبه، بينما من وجهها من المفسرين اعتبر مراعاة فواصل الآيات، أو حال المخاطبين.

(١) البحر المحيط (٥/٢٨٠).
(٢) التحرير والتنوير (٩/٢٧٦، ٢٧٩).

الخاتمة

بعد البحث في هذا الموضوع الهام توصلت إلى النتائج التالية:

١ــ يعتبر كتاب الخطيب الإسكافي أصل في باب توجيه المتشابه اللفظي في القرآن، وقد أفاد منه من كتب بعده، وإن توسع بعضهم في بسط فكرته كما فعل أبو جعفر ابن الزبير الغرناطي، وكذلك من اختصر عبارته كما فعل الكرماني في كتابه البرهان في متشابه القرآن.

٢ــ اختلاف منهج الكاتبين في المتشابه اللفظي في القرآن الكريم، فمنهم من اتبع منهج الترتيب المصحفي بالوقوف أمام كل سورة وبيان المتشابه في آياتها مع غيره من سور القرآن، وهذا المنهج يتميز بالإحصاء والاستقصاء، كما فعل ذلك المتقدمون ممن كتب في المتشابه، ومنهم من اتبع المنهج الموضوعي بذكر المتشابه على موضوعاته من التقديم والتأخير، أو الإبدال، أو الحذف والزيادة إلى غير ذلك من الموضوعات لكنه اقتصر على ذكر نماذج فقط من القرآن، ولم يستوعب كل الآيات المتشابهة فيه.

٣ــ بيان بلاغة القرآن الكريم في اختيار الألفاظ في موضعها، واختيار التراكيب في أماكنها، بحيث لا ينبو بكلمة موضعها، ويختل السياق لو رفعت من مكانها، وعدم قيام كلمة أخرى مقامها.

٤ــ يبين المتشابه اللفظي في القرآن قوة التحدي والإعجاز بالقرآن الكريم حيث ترد القصة على أساليب مختلفة وصور متعددة ومع ذلك يعجز الباحث عن الإتيان بأي صورة منها.

٥ــ قوة البلاغة والفصاحة في التعبير القرآني بحيث تتكرر القصة القرآنية، أو العبارة القرىنية ويقرؤها القاريء، أو يسمعها السامع فلا يمل من سماعها أو قراءتها.

٦ــ بيان الجهود المبذولة في خدمة كتاب الله، وهذا من وسائل حفظه الذي تكفل الله به، وجعل من وسائل حفظه شحذ الهمم لدراسة ما يتعلق بالقرآن، فهذا يدرس إعرابه، وثان يدرس بلاغته، وثالث يدرس توجيه متشابهه، ورابع وخامس إلى ما شاء الله من الدراسات المختلفة حول القرآن الكريم.

٧ــ بيان أهمية دراسة المتشابه اللفظي في الرد على المشككين في القرآن والطاعنين فيه بادعاء التكرار.

٨ــ وجدنا بعضا ممن كتب في المتشابه لم يقتصر على الكتابة في المتشابه في كتابه، وإنما ذكر بعض اللطائف المتعلقة بالآيات وإن كان قصد في البداية الاقتصار على المتشابه، كما فعل ابن جماعة والشيخ زكريا

الأنصاري.

٩ــ تأثر كثير من المفسرين بالكاتبين في المتشابه اللفظي وموافقتهم لهم في كثير من المواضع.

١٠ــ بعض الآيات المتشابهة في السورة الكريمة لم يتعرض المفسرون لبيان سر التعبير فيها والمقارنة بينها وبين المتشابه معها في سورة أخرى كما بينت ذلك في الدراسة التحليلية.

هذا وأسأل الله تعالى التوفيق والسداد، وأن يجعل هذا العمل خالصا لوجهه الكريم، وأن يغفر لنا زللنا وخطأنا وتقصيرنا

إنه نعم المولى ونعم النصير، وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا ونبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

فهرس المراجع

١ــ الإتقان في علوم القرآن للسيوطي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، الطبعة ١٣٩٤هـ ــ ١٩٧٤م.

٢ــ إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم لأبي السعود، الناشر: دار إحياء التراث العربي ــ بيروت.

٣ــ أسرار التكرار في القرآن المسمى البرهان في توجيه متشابه القرآن لما فيه من الحجة والبيان لمحمود بن حمزة ابن نصر، أبو القاسم برهان الدين الكرماني، ويعرف بتاج القراء (المتوفى نحو ٥٠٥هـ) تحقيق: عبد القادر أحمد عطا، مراجعة وتعليق: أحمد عبد التواب عوض، نشر: دار الفضيلة.

٤ــ الأعلام للزركلي الناشر: دار العلم للملايين، الطبعة: الخامسة عشر ــ أيار ــ مايو ٢٠٠٢م.

٥ــ الانتصاف فيما تضمنه الكشاف من الاعتزال لابن المنير السكندري المتوفى(٦٨٣ه) بهامش الكشاف، الناشر: دار الكتاب العربي ــ بيروت، الطبعة: الثالثة ١٤٠٧هـ.

٦ــ أنوار التنزيل وأسرار التأويل للبيضاوي، تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، الناشر: دار إحياء التراث العربي ــ بيروت، الطبعة: الأولى ١٤١٨هـ.

٧ــ البحر المحيط لأبي حيان، تحقيق: صدقي محمد جميل، الناشر: دار الفكر ــ بيروت، الطبعة: ١٤٢٠هـ.

٨ــ البحر المديد في تفسير القرآن المجيد لابن عجيبة، تحقيق: أحمد عبد الله القرشي رسلان، الناشر: الدكتور حسن عباس زكي ــ القاهرة، الطبعة: ١٤١٩هـ.

٩ــ البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع للإمام محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (المتوفى١٢٥٠هـ)، الناشر: دار المعرفة ــ بيروت.

١٠ــ البرهان في علوم القرآن للزركشي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الطبعة: الأولى١٣٧٦هـ ــ ١٩٥٧م
الناشر: دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركاؤه.

١١ــ بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز لمجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى (المتوفى ٨١٧هـ)، تحقيق: محمد علي النجار، الناشر: المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ــ لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة.

١٢ــ بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة للسيوطي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الناشر:المكتبة العصرية ــ لبنان ــ صيدا.

١٣ــ التبيان في إعراب القرآن لأبي البقاء العكبري، تحقيق علي محمد البجاوي، الناشر: عيسى البابي الحلبي وشركاه.

١٤ــ التَّفْسِيرُ البَسِيْط لأبي الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي (المتوفى: ٤٦٨هـ) تحقيق: أصل تحقيقه في (١٥) رسالة دكتوراه بجامعة الإمام محمد بن سعود، ثم قامت لجنة علمية من الجامعة بسبكه وتنسيقه، الناشر: عمادة البحث العلمي ــ جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الطبعة: الأولى١٤٣٠هـ.
١٥ــ تفسير الراغب الأصفهاني، تحقيق ودراسة: د.عادل بن علي الشِّدِي، دار النشر: دار الوطن ــ الرياض، الطبعة الأولى١٤٢٤هـ ــ ٢٠٠٣م.
١٦ــ تفسير السمعاني، تحقيق: ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس بن غنيم، الناشر: دار الوطن، السعودية ــ الرياض، الطبعة: الأولى ١٤١٨هـ ــ ١٩٩٧م.
١٧ــ تفسير الشيخ محمد متولي الشعراوي المسمى الخواطر، الناشر: مطابع أخبار اليوم.
١٨ــ التفسير الكبير للإمام الرازي، الناشر: دار إحياء التراث العربي ــ بيروت، الطبعة: الثالثة ــ ١٤٢٠هـ.
١٩ــ تفسير ابن عرفة (المتوفى٨٠٣هـ)، تحقيق: د. حسن المناعي، الناشر: مركز البحوث بالكلية الزيتونية ــ تونس، الطبعة: الأولى١٩٨٦م.
٢٠ــ التقييد الكبير في تفسير كتاب الله المجيد لأبي العباس أحمد بن محمد بن أحمد البسيلي التونسي (المتوفى ٣٨٠هـ)، الناشر: كلية أصول الدين، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ــ المملكة العربية السعودية الرياض.
٢١ــ تهذيب اللغة للأزهري، تحقيق: محمد عوض مرعب، الناشر: دار إحياء التراث العربي ــ بيروت، الطبعة: الأولى٢٠٠١م.
٢٢ــ الجنى الداني في حروف المعاني لأبي محمد بدر الدين حسن بن قاسم بن عبد الله بن عليّ المرادي المصري المالكي (المتوفى ٧٤٩هـ)، تحقيق: د فخر الدين قباوة، والأستاذ محمد نديم فاضل، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت ــ لبنان، الطبعة: الأولى ١٤١٣هـ ــ١٩٩٢م.
٢٣ــ حجة القراءات عبد الرحمن بن محمد، أبو زرعة ابن زنجلة (المتوفى: حوالي ٤٠٣هـ)، تحقيق: سعيد الأفغاني، الناشر: دار الرسالة.
٢٤ــ خصائص التعبير القرآني للدكتور/عبد العظيم إبراهيم محمد المطعني (المتوفى١٤٢٩هـ)، الناشر: مكتبة وهبة، الطبعة: الأولى١٤١٣هـ ــ ١٩٩٢م.
٢٥ــ الدر الثمين في أسماء المصنفين لعلي بن أنجب بن عثمان بن عبد الله أبو طالب، تاج الدين ابن السَّاعي (المتوفى ٦٧٤هـ)، تحقيق

وتعليق: أحمد شوقي بنبين ـــ محمد سعيد حنشي، الناشر: دار الغرب الاسلامي، تونس، الطبعة: الأولى ١٤٣٠هـ ـــ ٢٠٠٩م.
٢٦ـــ الدر المصون في علوم الكتاب المكنون للسمين الحلبي، تحقيق: الدكتور أحمد محمد الخراط، الناشر: دار القلم، دمشق.
٢٧ـــ روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، تحقيق: علي عبد الباري عطية، الناشر: دار الكتب العلمية ـــ بيروت، الطبعة: الأولى١٤١٥هـ.
٢٨ـــ زاد المسير لابن الجوزي، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، الناشر: دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة: الأولى ١٤٢٢هـ.
٢٩ـــ السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير لشمس الدين، محمد بن أحمد الخطيب الشربيني الشافعي (المتوفى:٩٧٧هـ)، الناشر: مطبعة بولاق (الأميرية) ـــ القاهرة، عام النشر: ١٢٨٥هـ.
٣٠ـــ سنن ابن ماجة تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار إحياء الكتب العربية ـــ فيصل عيسى البابي الحلبي.
٣١ـــ سنن الترمذي تحقيق وتعليق: أحمد محمد شاكر (جـ ١، ٢)، ومحمد فؤاد عبد الباقي (جـ ٣) وإبراهيم عطوة عوض المدرس في الأزهر الشريف (جـ ٤، ٥)، الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي ـــ مصر، الطبعة: الثانية ١٣٩٥هـ ـــ ١٩٧٥م.
٣٢ـــ شجرة النور الزكية في طبقات المالكية لمحمد بن محمد بن عمر بن علي بن سالم مخلوف (المتوفى١٣٦٠هـ)، علق عليه: عبد المجيد خيالي، الناشر: دار الكتب العلمية، لبنان، الطبعة: الأولى١٤٢٤هـ ـــ٢٠٠٣م.
٣٣ـــ الصحاح للجوهري، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، الناشر: دار العلم للملايين ـــ بيروت، الطبعة: الرابعة ١٤٠٧هـ ـــ١٩٨٧م.
٣٤ـــ صحيح البخاري، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، الناشر: دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي)، الطبعة: الأولى١٤٢٢هـ.
٣٥ـــ صحيح مسلم، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار إحياء التراث العربي ـــ بيروت.
٣٦ـــ غرائب التفسير وعجائب التأويل للكرماني، دار النشر: دار القبلة للثقافة الإسلامية ـــ جدة، مؤسسة علوم القرآن ـــ بيروت.
٣٧ـــ غرائب القرآن ورغائب الفرقان لنظام الدين الحسن بن محمد بن حسين القمي النيسابوري (المتوفى٨٥٠هـ)، تحقيق: الشيخ زكريا عميرات، الناشر: دار الكتب العلمية ـــ بيروت، الطبعة: الأولى١٤١٦هـ.
٣٨ـــ فتح الرحمن بكشف ما يلتبس في القرآن لزكريا بن محمد بن أحمد بن

زكريا الأنصاري (المتوفى ٩٢٦هـ)، تحقيق: محمد علي الصابوني، الناشر: دار القرآن الكريم، بيروت ـــ لبنان، الطبعة: الأولى١٤٠٣هـ ـــ١٩٨٣م.
٣٩ـ فتح القدير الجامع بين فني الدراية والرواية للشوكاني الناشر: دار ابن كثير، دار الكلم الطيب ـــ دمشق، بيروت، الطبعة: الأولى ـــ١٤١٤هـ.
٤٠ـ فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب حاشية الطيبي على الكشاف، الناشر: جائزة دبي الدولية للقرآن الكريم الطبعة: الأولى١٤٣٤هـ ـــ ٢٠١٣م.
٤١ـ قطف الأزهار في كشف الأسرار للسيوطي، تحقيق د/ أحمد بن محمد الحمادي، إصدار وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية ـ قطر ط أولى ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٤م.
٤٢ـ الكشف والبيان عن تفسير القرآن، أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي (المتوفى٤٢٧هـ)، تحقيق: الإمام أبي محمد ابن عاشور، مراجعة وتدقيق: الأستاذ نظير الساعدي، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت ـ لبنان، الطبعة: الأولى ١٤٢٢هـ ـــ ٢٠٠٢م.
٤٣ـ كشف المعاني في المتشابه من المثاني أبو عبد الله، محمد بن إبراهيم بن سعد الله بن جماعة الكناني (المتوفى٧٣٣هـ)، تحقيق: الدكتور عبد الجواد خلف، الناشر: دار الوفاء ـــ المنصورة، الطبعة: الأولى١٤١٠هـ ـــ١٩٩٠م.
٤٤ـ كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون لحاجي خليفة، الناشر: مكتبة المثنى ـــ بغداد (وصورتها عدة دور لبنانية، بنفس ترقيم صفحاتها، مثل: دار إحياء التراث العربي، ودار العلوم الحديثة، ودار الكتب العلمية)، تاريخ النشر: ١٩٤١م.
٤٥ـ الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية أيوب بن موسى الحسيني القريمي الكفوي، أبو البقاء الحنفي (المتوفى١٠٩٤هـ)، المحقق: عدنان درويش ـــ محمد المصري، الناشر: مؤسسة الرسالة ـــ بيروت.
٤٦ـ اللباب في علوم الكتاب لابن عادل الحنبلي، تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض، الناشر: دار الكتب العلمية ـــ بيروت ـ لبنان، الطبعة: الأولى١٤١٩هـ ـــ ١٩٩٨م.
٤٧ـ لسان العرب لابن منظور، الناشر: دار صادر ـ بيروت، الطبعة: الثالثة١٤١٤هـ.
٤٨ـ مباحث في إعجاز القرآن للدكتور مصطفى مسلم، الناشر: دار القلم ـــ دمشق، الطبعة: الثالثة١٤٢٦هـ ـــ ٢٠٠٥م.
٤٩ـ المتشابه اللفظي في القرآن الكريم وتوجيهه دراسة موضوعية إعداد الطالب محمد بن راشد البركة، وهي رسالة ماجستير مقدمة لكلية

أصول الدين جامعة الإمام محمد بن سعود عام١٤٢٦ه.
٥٠ــ مدارك التنزيل وحقائق التأويل للنسفي، حققه وخرج أحاديثه: يوسف علي بديوي، راجعه وقدم له: محيي الدين ديب مستو، الناشر: دار الكلم الطيب، بيروت، الطبعة: الأولى١٤١٩هـ ـــ ١٩٩٨م.
٥١ــ معجم الأدباء لياقوت الحموي، تحقيق: إحسان عباس، نشر: دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط أولى١٤١٤هـ ـــ١٩٩٣م.
٥٢ــ معترك الأقران في إعجاز القرآن للسيوطي، دار النشر: دار الكتب العلمية ــ بيروت ـــ لبنان، الطبعة: الأولى١٤٠٨هـ ــ ١٩٨٨م.
٥٣ــ معجم المؤلفين عمر بن رضا بن محمد راغب بن عبد الغني كحالة الدمشقي (المتوفى ١٤٠٨هـ)، الناشر: مكتبة المثنى ـــ بيروت، دار إحياء التراث العربي بيروت.
٥٤ــ مغني اللبيب لابن هشام، تحقيق: د. مازن المبارك، محمد علي حمد الله، الناشر: دار الفكر ــ دمشق، الطبعة: السادسة ١٩٨٥م.
٥٥ــ مفتاح العلوم للسكاكي، نشر: دار الكتب العلمية، بيروت ــ لبنان، ط ثانية ١٤٠٧هـ ـــ ١٩٨٧م.
٥٦ــ ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه المتشابه اللفظ من آي التنزيل لأحمد بن إبراهيم ابن الزبير الثقفي الغرناطي(المتوفى ٧٠٨هـ)، وضع حواشيه: عبد الغني محمد علي الفاسي، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت ـــ لبنان.
٥٧ــ نواهد الأبكار وشوارد الأفكار حاشية السيوطي على البيضاوي، الناشر: جامعة أم القرى ــ كلية الدعوة وأصول الدين المملكة العربية السعودية (٣ رسائل دكتوراه)، عام النشر ١٤٢٤هـ ــ ٢٠٠٥م.
٥٨ــ الوسيط في تفسير القرآن المجيد أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي (المتوفى: ٤٦٨هـ)، تحقيق وتعليق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، الشيخ علي محمد معوض، الدكتور أحمد محمد صيرة، الدكتور أحمد عبد الغني الجمل، الدكتور عبد الرحمن عويس، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت ــ لبنان، الطبعة: الأولى ١٤١٥هـ ــ ١٩٩٤م.